جامعة الموصل
كلية الآداب
قسم الفلسفة

المقرر: فلسفة العصور الوسطى
المرحلة: الثانية
مدرس المادة: م. د هباعبدالإله يونس
العام الدراسي: 2026-2025

## ➢ المحاضرة الأولى: مدخل في مفهوم اليهودية

**أ- نشأتها وتطورها ومصادرها**

**ب_ مصادرها**

**الفلسفة اليهودية :** هي فلسفة تجمع ما كتبه الفلاسفة اليهود أو الفلسفة التي تعنى بالدين اليهودي ، ويمكن أطلاقها على دراسة اللاهوت اليهودي والفلسفة اليهودية من أقدم الفلسفات التي مثلها مثل الفلسفة الهندية والفلسفة الصينية وعند الحاخامات اليهود يعتبر النبي إبراهيم أول الفلاسفة وعند الدارسين يعتبر الفيلسوف فيلون السكندري أقدم الفلاسفة اليهود والفلسفة اليهودية كما يرى بعض المؤرخين ليست متجانسة عبر العصور وقد تختلف من عصر إلى آخر أما العهد القديم فهو أقدم النصوص الفلسفية في الثقافة اليهودية

**اليهودية :**

1- **تعريفها وأصلها :** هي الملة التي يدين بها اليهود وهم أمة موسى عليه السلام كانت في أصلها – قبل أن يحرفها اليهود– هي الديانة المنزلة من الله تعالى على موسى عليه السلام وكتابها : التوراة وهي الآن ديانة باطلة لان اليهود وحرفوها ولأنها نسخت بالإسلام .

2- **سبب التسمية :** سميت اليهودية بذلك الاسم نسبة إلى اليهود وهم أتباعها وسموا يهودً: _ نسبة إلى " يهوذا " أبن يعقوب الذي ينتمي اليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالا ؟ وقيل : نسبة إلى الهودّ بشد الدال وهو التوبة والرجوع وذلك نسبة إلى قول موسى لربه " إنا هدنا اليك أي تبنا ورجعنا أليك يا ربنا وذلك أن بني إسرائيل حين غاب عنهم موسى عليه السلام وذهب لميقات ربه صنعوا عجلاً من ذهب وعبدوه فلما رجع موسى وجدهم قد ارتدوا فغضب عليهم وأنبهم فرجع أكثرهم وتابوا فقال موسى هذه الكلمة فسموا هوداً ثم حولت إلى ( يهود) ...

3- **عقيدة اليهود :** كانت عقيدة اليهود قبل أن يحرفوها عقيدة التوحيد والإيمان الصحيح المنزلة من الله تعالى على موسى عليه السلام ولكنهم حرفوها وبدلوها وابتدعوا فيها ما لم ينزله الله ...

واليهودية معتقد مختلف عن معظم المعتقدات والأديان هي دين مغلق فلا يحق لأي إنسان أن يعتنق اليهودية بمعنى أوضح : أن اليهودية لا تقبل في صفوفهم انساناً جديداً يعتنق دينهم خلافاً لجميع المبادئ والأديان التي تعمل لزيادة المؤمنين بها ، ولكي يكون الإنسان يهودياً يجب أن يكون من أم يهودية وما زالت محاكم اسرائيل ترفض الاعتراف بيهودية مواطنيها من أب يهودي وأم غير يهودية ....

وقد ارتبطت كلمة يهودي في أذهان الناس بتصور خاص وصفات معينة خلال عصور التاريخ واستطاع معتنقوها أن يحافظوا على دينهم وعرقهم فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا معها في كل البلدان وانعزلوا عن الشعوب التي عاشوا معها وحافظوا على لغتهم وديانتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استغلال الشعوب الآخرى بأي وسيلة فهم وحدهم شعب الله المختار وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب .

**التعريف ببعض مصطلحات المحاضرة :**

- ظهر مصطلح اليهودية أثناء العصر الهيليني للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتميزها عن غيرها وقد أطلق هذا المصطلح على يد يوسيفوس ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة يهودا مقابل العقائد الآخرى مثل الهيلينية أما الاصل العبري لليهودية فيعود إلى العصور الوسطى .
- مصطلح اللاهوت : جاء من الكلمة اليونانية " دراسة الله نقول : علوم لاهوتية : محاولة للتعرف وفهم الله ، التعمق في كلمة الله لاكتشاف ما أعلنه الله لنا عن نفسه.
- الحاخام : رجل الدين اليهودي ويمثل الرائد والمعلم الروحي لليهود والمبين لإحكام اليهودية .
- الهيلينية : مستمدة من كلمة هيلا وهي الاسم العرقي الذي يطلقه اليونان على أنفسهم .
- العصر الهيليني : هو حقبة من التاريخ الإغريقي وهي فترة متأخرة من الحضارة الإغريقية التي ازدهرت في الفترة المسماة العصر الكلاسيكي وتمتد من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحتى موت الاسكندر المقدوني في سنة 323ق.م وفي هذه الفترة اعتبرت الثقافة الإغريقية في أوج عبقريتها وعظمتها الفكرية والعلمية والفلسفية وهي بخلاف الهيلينستية التي تعتبر ثقافة مركبة من عناصر يونانية وشرقية حمل فيها الاغريقيون الفلسفة ولقح فيها الشرقيون حضارة اليونان بروحانية الشرق وعاداته وعلومه ....
- العصر الكلاسيكي : مصطلح واسع يشمل فترة طويلة من التاريخ الثقافي المتمحور حول البحر الابيض المتوسط والذي يضم تداخل حضارتي اليونان القديمة وروما القديمة وهو ما يعرف باسم العالم اليوناني الروماني.
- الحضارة الإغريقية : تنقسم إلى مرحلتين الاولى : هيلينيك أي المرحلة اليونانية البحتة وتضم مرحلتي النشأة والازدهار وتشمل العالم اليوناني وحضارته حتى موت الاسكندر الاكبر والمرحلة الهيلينستية : وهي مرحلة يونانية متأخرة وتشمل البقاع التي تألفت منها امبراطورية الاسكندر وتشمل بلاد اليونان والممالك الشرقية بعد غزو الاسكندر لها..
- بعد موت أرسطو دخلت الفلسفة اليونانية ما يعرف بالعصر الهيليني .
- العهد القديم : هو الجزء الاكبر من الكتاب المقدس ويحتوي على جميع كتب اليهود بما فيها التوراة ( الكتب الخمسة الأولى ).
- العهد الجديد : الكتاب المقدس الذي أنزل على موسى في عقيدة اليهود وهو التوراة تبنته المسيحية أيضاً معتبرة إياه العهد القديم الذي تم إكمالهُ بالعهد الجديد. ..

- **المحاضرة الثانية: أعلام الفلسفة اليهودية في العصر الهيليني:**

**أ- علاقة اليهودية بالفلسفة الهيلينية**

**ب- فلسفة فيلون**

كان أساس اليهود هو الدين كما كانت فكرة وجود إله قادر تسيطر على كل ناحية من نواحي الحياة اليهودية وفي كل لحظة من لحظاتها ... وكان مجلس الكبراء يفرض القوانين الاخلاقية والآداب الاجتماعية بجميع دقائقها ويشرف على تنفيذها إشرافاً تاماً وكانت أسباب الهو والتسلية والألعاب قليلة محدودة وكان الزواج بغير اليهود محرماً وكذلك العزوبة وقتل الأطفال ومن ثم كان اليهود يلدون كثيراً ويربون جميع أبنائهم وظلوا طوال العصور القديمة يتكاثرون رغم الحروب والمجاعات حتى بلغ عددهم في الامبراطورية الرومانية أيام قيصر سبعة ملايين ، وكان معظم السكان قبل العهد المقدوني يعملون بالزراعة لان اليهود لم يكونوا قد أصبحوا بعض أمة من التجار وقد كتب عنهم يوسيفوس في ذلك العهد المتأخر ، وهو القرن الأول بعد الميلاد يقول : " لسنا شعباً تجارياً " أما الشعوب التجارية العظيمة في ذلك العصر فهم الفينيقيون والعرب و اليونان...

وكان الرق موجود في بلاد اليهود وكما كان في غيره من الاقطار غير أن حرب الطبقات في ذلك العصر كانت هادئة نسبياً ، ولم يكن للفنون عندهم شأن عدا الموسيقى فقد كانت راقية مزدهرة وكان الناي والطبل أو البوق والقيثارة وتستخدم الترانيم الدينية وكان الدين اليهودي يعيب على الطقوس اليونانية استرسالها في الخضوع لخيال الشعب ويزدريها لهذا السبب وكان الربانيون يواجهون طقوس الشرك الهلنية بإنشاد هذه النغمة التي لا تزال تتردد حتى اليوم في كل كنس يهودي : " استمعي يا إسرائيل : الرب إلهنا الرب واحد ....

وأدخل الغزاة اليونان في هذه الحياة البسيطة المتزمتة كل ما في الحضارة المهذبة الأبيقورية من أسباب اللهو والغواية وقد كان يحيط ببلاد اليهود حلقة من المستقرات والمدن اليونانية وكانت تقوم في كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للألهه والإلهات اليونانية ومدارس ومجامع علمية وأقبل على أورشليم من هذه المدن ومن الإسكندرية وأنطاكية وديلوس ورودوس يونان ويهود يحملون العداوة الهيلينية عدوى التبحتر في العلم والفلسفة والفن والأدب والاستمتاع بالجمال واللذة ، فضلاً عن التشكك الذي قضى على كل عقيدة في خوارق الطبيعة ....

لقد بدأ الشبان اليهود الفكهون يسخرون من الكهنة ويصفونهم بأنهم طلاب مال ، كما يصفون الأتقياء من أتباعهم بأنهم حمقى ، ينحدرون الى الشيخوخة من غير أن يعرفوا الملاذ والترف ومباهج الحياة ، وأنضم اليهم أغنياء اليهود لانهم كانوا يستطيعون أن يستجيبوا لداعي الغواية ... وأحس اليهود الذين كانوا يطلبون المناصب من الموظفين اليونان بأن من حسن السياسة أن يتكلموا اللغة اليونانية وأن يعيشوا كما يعيش اليونان بل أن يقولوا بضع كلمات طيبة في حق الآلهة اليونانية ...

وكانت ثلاث قوى تحمى اليهود من هذا الهجوم القوي على عقلهم وحواسهم هي ما وقع عليهم من الاضطهاد أيام أنتيوخوس الرابع وحماية روما وسلطان القانون وهيبته لأنه كان في اعتقاد اليهود وحياً منزلاً من عند الله ، وتجمع الأتقياء من اليهود لحماية روما أنفسهم فألفوا هيئة من الصفوة المختارة أطلقوا عليها أسم " المتقين" وبدأت هذه الجماعة بعهد بسيط قيدوا به أنفسهم أن يمتنعوا عن شرب الخمر زمناً معيناً ، ثم ذهبوا فيما بعد مدفوعين بسيكولوجية الحرب المحتومة إلى أبعد حدود التزمت فحرموا جميع الملاذ الجسمية وعدوها استسلاماً للشيطان واليونان ، وعجب منهم اليونان أشد العجب وضموهم إلى زمرة الفلاسفة الزاهدين العرايا الذين التقت بهم جيوش الاسكندر في بلاد الهند ، وحتى اليهودي العادي نفسه كان يعارض في تزمت جماعة المتقين الشديد ويبحث لنفسه عن خطة وسطى بين التزمت والإباحية ولعله هو وأمثاله كان يستطيع أن يجد هذا الحل الوسط لولا أن أنتيوخوس إيفانيز حاول أن يقحم الهلنية في بلاد اليهود بالإقناع تارة وبالسيف تارة آخرى ...

وظلت بلاد اليهود تابعة لمصر حتى عام 198 حين هزم انتيوخوس الثالث بطليموس الخامس وضمها الى الامبراطورية السلوقية وكان اليهود قد ملوا حكم المصريين فأعانوا انتيوخوس ورحبوا باستيلائه على أورشليم وتحريرهم من حكامهم ولكن خلفه أنتيوخوس الرابع ل الذي لم يرى في بلاد اليهود الا أنها مصدر للإيراد وكان وقتئذ يستعد لحروب تتطلب الكثير من الاموال فأمر اليهود أن يؤدوا إلى خزانة الدولة ثلث محصولاتهم من الحبوب ونصف ما تثمره أشجار الفاكهة ثم عين جيسن المعروف بتذلله وملقه حاخاماً أكبر ، وتجاهل في هذا التعيين ماجرت به العادة من توارث هذا المنصب الديني وكان جيسن هذا يمثل الحزب القائم في أورشليم والذي ينادي بفرض الثقافة الهلنية على بلاد اليهود ويطلب الأذن بإقامة النظم اليونانية في تلك البلاد، وأصغى أنتيوخوس إلى مطالبه وهو فرح مستبشر لان اختلاف الطقوس الدينية الشرقية في بلاد أسيا اليونانية وقوة هذه الطقوس كانا يقلقان باله إذ كان يحلم بتوحيد امبراطوريته المتعددة اللغات و الاجناس بإخضاعها كلها لشريعة واحدة وعقيدة واحدة ولما أبطا جيسن في العمل للوصول إلى هذه الغاية عين أنتيوخوس بدلاً منه منلوس بعد أن وعده بأكثر مما وعد به سلفه ، وارتاعت كثرة الشعب اليهودي من هذه التطورات وأحست أن دينها يكاد ينهار من أساسه ، فانحازت الى أراء المتقين ولما طرد بوبليوس انتيوخوس الرابع من مصر شاع في أورشليم أنه قتل، فاغتبط اليهود بالنبأ وخلعوا الموظفين المعينين عليهم من قبله وقتلوا زعماء الحزب الذي كان يدعوا إلى الثقافة الهلينية وطهروا الهياكل مما كانوا يرونه منكراً أو كفراً ، لكن أنتيوخوس لم يكن قد مات بل هزم وذل وأصبح فقيراً معدماً ، وقد أيقن ان اليهود كانوا سبباً في هزيمته في مصر وأنهم كانوا يأتمرون ليعيدوا بلادهم الى البطالمة فعاد إلى أورشليم وذبح ألافاً من اليهود رجالهم ونسائهم ودنس الهيكل ونهبه ، وأعاد الى منلوس سلطته العليا وأمر أن يثقف اليهود كلهم على الرغم منهم بالثقافة الهلينية وأن يعود الهيكل كما كان ضريحاً مقدساً لزيوس وأن يقام مذبح يوناني فوق المذبح القديم وأن يستبدل بالقرابين القديمة قربان من الخنازير ثم حرم تقديس السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية وحرمت جميع مراسم الدين اليهودي في جميع أنحاء بلاد اليهود وألزم الأهل بأتباع المراسيم اليونانية وعوقب من يخالف هذا الأمر بالإعدام وكان كل من يأبى من اليهود أن يأكل لحم الخنزير وكل من يوجد عنده كتاب الشريعة يسجن أو يقتل وأمر أن يحرق هذا الكتاب أنى وجد وأشعلت النار في أورشليم نفسها وهدمت اسوارها وبيع جميع سكانها اليهود في أسواق الرقيق وجيء بالأجانب ليقيموا في مواضعها وشيد حصن جديد على جبل صهيون ووضعت فيه حاميه من الجند لتحكم المدينة باسم الملك ويبدو أن

انتيوخوس سعى في بعض الاوقات لان يجعل نفسه الهاً وأنه طلب الى الناس ان يتخذوه الهاً يعبدونه وزاد الاضطهاد شدة على مر الزمن وذلك أنه يوجد دائماً في كل مجتمع أقلية فطرت على الابتهاج اذا اذن لها بالاضطهاد لأنها ترى في هذا الاضطهاد انطلاقاً من قيود الحضارة وكان عملاء انتيوخوس من هذه الاقلية فأنهم بعد أن قضوا على جميع مظاهر اليهودية في أورشليم انطلقوا انطلاق اللهب وكانوا اينما حلوا يتخيرون الاهالي بين الموت والاشتراك في العبادات الهلنية وصدع كثيرون من اليهود بما أمروا به وترقبوا أن تمر العاصفة وفر كثيرون غيرهم الى الكهوف أو المعاقل الجبلية النائية وعاشوا على ما يلتقطونه خلسة من الحقول وثبتوا على ممارسة اساليب الحياة اليهودية وكان من بين اليهود الذين فروا وقتئذ من اورشليم متاثياس من أسرة هزموناي من سبط هارون – وأنباؤه الخمسة – ولما أقبل أبليز عامل أنتيوخوس الى مدين التي لجأ اليها هؤلاء الستة أمر أهلها أن يجحدوا الشريعة ويتقربوا لزيوس وجاء متاثياس الشيخ ومعه أبناؤه وقال : لو أن جميع سكان المملكة أطاعوا أمركم بالمروق من دين آبائهم لبقيت انا و اولادي الخمسة متمسكين بعهد آبائنا الاولين ، ثم نادى في الشعب قائلاً: من كان يغار على الشريعة وأراد ان يؤيد العهد فليتبعني فساروا وراءه هو وأبنائه كثيرون من القرويين حتى وصلوا الى جبل أفرايم حيث انضمت اليهم جماعة صغيرة من الشبان الثائرين ومن كان باقياً على قيد الحياة من المتقين ....

ولما تقدم ليسياس نائب الملك بجيش جديد ليسترد به العاصمة شاع بين الجند أن انتيوخوس قد مات وكانت هذه الشائعة صادقة هذه المرة وأراد ليسياس ان يكون حراً في العمل في غير هذا الميدان فعرض على اليهود ان يترك لهم حريتهم الدينية الكاملة اذا ما القوا السلاح فرضي بذلك المتقون وأعلن بوداس أن بلاد اليهود لا تأمن على نفسها من الاضطهاد الا اذا نالت استقلالها السياسي والديني جميعاً وواصل أخوة يوثان الحرب شجاعة عظيمة ولكنه قتل هو الاخر ولم يبقى من الاخوة الخمسة الا سيمون وقد استطاع بمعاونة روما ان ينال من دمتريوس الثاني في عام 142 اعترافاً باستقلال بلاد اليهود وعين سيمون بمرسوم شعبي حاخاماً أكبر قائداً عسكرياً وإذ كان هذان المنصبان قد أصبحا وراثيين في هذه الاسرة فقد أضحى هو مؤسس الاسرة المالكة وعدت أول سني حكمه بداية التاريخ الجديد وصدرت عمله تعلن مولد الدولة اليهودية الجديدة .

**<u>التعريف ببعض مصطلحات المحاضرة :</u>**

- الاسكندر المقدوني : أحد ملوك مقدونيا الإغريق من أشهر القادة العسكريين و الفاتحين عبر التاريخ تتلمذ على يد الفيلسوف والعالم الشهير أرسطو حتى بلغ ربيعه السادس وبحلول عامه الثلاثين كان قد أسس احدى أكبر وأعظم امبراطوريات التي عرفها العالم القديم ..
- الفينيقيون : هم أحد الشعوب السامية القديمة تمتد على النطاق الساحلي بين جبال لبنان والبحر الابيض المتوسط من جبل الاقرع في الشمال الى مدينة حيفا في الجنوب
- أنتيوخوس أبيفانيوس : أحد ملوك السلوقين أبيفانيوس معناها اللامع دنس هيكل اليهود ومارس ضدهم أشد الوان الاضطهاد الديني من باب السخرية أبيمانيوس معناها الرجل المجنون

- بطليموس الخامس : تولى العرش تحت لقب أبيفانس ( الاله الظاهر) حدثت انقسامات وصراعات داخلية في عهده كونه لا يزال طفلاً في الخامسة ووضع تحت وصاية بعض الامراء أدت تلك الانقسامات والصراعات الداخلية الى حرب أهلية دموية .
- الهلينية ( الهيلينية + الهيلنستية ) : ان الحضارة الإغريقية تقسم الى مرحلتين : الاولى ( الهيلينية ) وهي مصطلح يشير الى الفترة التاريخية من ( 323- 800) ق.م والتي تضم المرحلتين (الأرخيه ثم الكلاسيكية )..
- الهيلينية : مأخوذه عن الكلمة Hella والتي تعنى شعاع الشمس وهيلاس اسم قديم يوناني لليونان والاسم الرسمي لليونان حالياً هو الجمهورية الهيلينية تضم مرحلتي النشأة والنضج والازدهار وتشمل العالم اليوناني وحضارته منذو الغزو الدوري وحتى موت الاسكندر المقدوني .
- البطالمة : هم عائلة من أصل مقدوني نزحت على مصر بعد وفاة الاسكندر الاكبر حين تولى أحد قادة جيش الاسكندر الاكبر وهو بطليموس ، أهتم ببناء مدينة الاسكندرية التي أسسها الاسكندر الاكبر قبل مغادرته مصر في حملة عسكرية الى بلاد الفرس وأفغانستان والهند .
- زيوس : يلقب عند الاغريق بـ أب الآلهة والبشر فهو الذي يحكم باعتباره الاب الوريث زيوس هو آله السماء والصاعقة تمكن قوة زيوس في حكمه لقوى الطبيعة الرهيبة التي كان الاغريق يخشونها كالبرق والرعد والسماء الواسعة .

➢ **المحاضرة الثانية:**

**أ- فيلون الاسكندري: 30 ق.م – 50 بعده**

**ب- فلسفة فيلون**

**1- <u>حياته ومصنفاته</u> :-**

هو أكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية في ذلك العصر (أى الأول المسيحى)، وقد كان بين اليهودية والوثنية اتصال وتفاعل فمن جهة، كان بعض الوثنيين من يخصّون "العلي " إله اليهود بعباده إلى جانب عبادتهم لآلهتهم، وكان آخرون يعتنقون عقائد اليهودية، ويختلفون إلى معابدها ، وآخرون يدخلون في الديانة اليهودية. ومن جهة أخرى كان اليهود يتأثرون بالفلسفة اليونانية، اعلاهم شأنًا وأعظمهم نفوذًا بين بقية إخوانهم هم يهود الأسكندرية، وكانوا يؤلفون جالية غنية زاهرة آخذة بحظ كبير من الثقافة اليونانية حتى أنهم لم يكونوا يقرأون التوراة إلاّ في الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية، وكانوا يضيفون اليها مثل ما للأصل من كرامة وعظمة ، ولكن كان منهم الكفار الذين أضلتهم السفسطة اليونانية فأعرضوا عن الله وشريعته. وكان آخرون يدينون بدينهم ويتحللون من قيود الشريعة بالتأويل المجازى على أن كثرتهم بقيت متمسكة بديانتها القومية وأمينة لتعاليمها، وكانوا كثيرو التأليف يذيعون باليونانية معتقداتهم وآمالهم في كتب يعزونها إلى أسماء معبرة من قدماء الشعراء والفلاسفة ، وقد ضاع معظم هذه الكتب، غير أن ما بقى منها يحمل الدلالة الكافية على أهم التيارات الدينية والفلسفية بينهم " فيلون " أشهر هؤلاء المؤلفين كان كبير القدر عند

قومه ، ومما يذكر عنه انه كان في اواخر أيامه ذهب مع وفد إلى روما ليشكو معاملة الحاكم الرومانى على مصر لأهل دينه، ولم يكن يعرف العبرية، فقرأ التوراة باليونانية وشرحها بهذه اللغة، قاصدًا إلى أن يبين لليونانيين أن في التوراة فلسفة أقدم وأسمى من فلسفتهم، على ما كان قد حاوله غيره من اخوانه في الدين، وهو يدمج في شرحه الضخم آراء الفلاسفة مبعثرة من غير ترتيب، ولا يعنى بتلخيص آرائه وتحديد معانى ألفاظه، بل لا يحجم أحيانًا كثيرة عن الجمع بين آراء متنافرة، كما أنه يقارب بين بعض الأفكار اليونانية وأقوال التوراة، ولكنه يعترف للمفكرين اليونان بالابتكار والعبقرية، ومن بعده صارت فكرة أخذ اليونان عن التوراة مألوفة بين اليه والدين وهو لا يفصل بين الفلسفة والدين ولكنه يتخذ الدين أصلاً ويشرحه بالفلسفة، ويعد له بها غير مره وعلى أنه دون بعض الكتب الفلسفية البحتة، مثل كتاب: "في دوام العالم"، وأيضًا كتاب "في العناية

**2- <u>الشرح الرمزى</u>:-**

كان يهود الإسكندرية يفسرون الأسفار الخمسة تفسيرًا رمزيًا على غرار شرح الفيثاغوريين و الأفلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا الإغريقية والعبادات السرية، فالتوراة في جملها عبارة عن تاريخ بنى إسرائيل وما أصابهم من نِعَمْ حين كانوا يرعون شريعة الله، وما أصابهم من سخط حين كانوا يعصونها: فقال إنها تمثل قصة النفس مع الله، فتدنو النفس من الله بقدر ابتعادها عن الشهوة فتنال رضاه، وتبتعد عنه بقدر انسياقها للشهوة فينزل بها سخطه وغضبه. وكانوا يؤولون الفصل الأول من سفر التكوين مثلاً بأن الله خلق عقلاً خالصًا في عالم المثل هو الإنسان المعقول، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً آخر أقرب إلى الأرض (هو آدم) وأعطاه الحس (وهى حواء) معونة ضرورية له، وأطاع العقل الحس وانقاد للذة (الحية) التي سوست لحواء فولدت النفس في ذاتها الكبرياء (قابيل) وجميع الشرور، وانتفى منها الخير (هابيل) وماتت موتًا خلقيًا .....وعبور البحر الأحمر يؤول إلى أنه رمز لخروج النفس من الحياة الحسية، وسبعة أغصان الشمعدان بأنها رمز للسيارات (الكواكب) السبع، والحجران الكريمان اللذان يحملهما الكاهن الأكبر، بأنهما رمز للشمس والقمر أو لنصفى الكرة الأرضية ، والآباء الذين يعود إليهم إبراهيم، بأنهم رمز الكواكب، أو للعناصر الأربعة أو للمثل والفصح بأنه رمز لترك النفس للجسم وشهواته، وشجرة الحياة في الفردوس الأرضى بأنها رمز لأعم الفضائل وهى الطيبة والخلق. واقتران إبراهيم بسارة، بأنه رمز لاتحاد الإنسان الصالح بالفضيلة ... وغير ذلك كثير.

ويصطنع فيلون هذا الضرب من التأويل ، غير أنه يتوقف فيه عند حد، ويقبل المعنى الحرفي، لإيمانه الوطيد بالله وشريعته وبالتقاليد القومية وإن كان يتابع الفلاسفة أحيانًا على خلاف الشريعة وهو يصطنع أيضًا الرمز العددى المأثور عن الفيثاغورية القديمة والجديدة، فيقول مثلاً إن الواحد غير منقسم، فهو صورة العلة الأولى وموجد النفس والحياة، وأن الاثنين منقسم، فهو أصل الشقاق وأخو الشر، ... الخ. واتجاهه العام في شرحه للشريعة هو وضع المعنى الخلقي في مقابل المعنى الحرفى، أو نقل الثانى إلى الأول أحيانًا فيرى في الطقوس علامات على الشروط الخلقية اللازمة للعبادة، ففي تحريم الحيوانات النجسة وجوب قمع الشهوات الرديئة. ومثل هذا النقل ينزع عن الشريعة صفتها الظاهرية أو المدنية ويحولها إلى قانون باطنى وقد استبعد فيلون من اليهودية كل طموح سياسى، وقال إن "اليهودى" هو يهودى دينًا لا جنسية أو قومية، ويجب عليه أن يكون مواطنًا في البلد الذي يقيم فيه، ونقل الوعود الإلهية الواردة في التوراة بخيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة وبسيادة الشريعة على العالم، حتى

التئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم، يؤوله بمعنى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعدما تحدثه الرذيلة من تشتت. والمسيح عند فيلون بمثابة الملك الحكيم عند الأفلاطونية والرواقية، يفرض سلطان بصفاته الخلقية من وقار يوحى بالاحترام، وهيبته توحى بالخوف، وإحسانه يوحى بالمحبة.

**3- <u>الوجود</u> :-**

تصور فيلون للوجود مزيج من العقيدة اليهودية والفلسفة اليونانية، فالله عنده مُفارِق للعالم، خالق له ومعنى به، ولكنه بعيدًا عما يدركه العقل بحيث لا نستطيع أن نعلم عنه شيئًا آخر، فكل ما ورد في التوراة من تشبيه يجب أن يُؤول بحسب هذا الاعتبار، وليس الله عنده هو إله إسرائيل فحسب وإنما هو إله العالم أجمع، وأسماؤه تدل على الكلية، فهو الموجود ، والموجود حقًا، وهو العلة الأولى، وأبو العالم، وملكه ونفسه وروحه فإن صادف قول التوراة "إله إبراهيم واسحق ويعقوب" وأول إبراهيم بالعلم واسحق الطبيعة، ويعقوب بالزهد، بحيث لا تدل الأسماء الثلاثة إلاّ على مصادرنا الثلاثة لمعرفة الله، وهو يسمى الله شمس الشمس، والشمس المعقولة للشمس المحسوسة، آخذًا عن أفلاطون، ويتابع أفلاطون في قوله إن الله صنع العالم لمحض خيريته، ثم يجاوز جميع الفلاسفة اليونانيين فيقول: لو أراد الله أن يدين الناس بلا رحمة لقضى عليهم بالهلاك، لأن أحداً منهم لا يستطيع بنفسه أن يجرى شوطه كاملاً دون أن يسقط ولو عن غير قصد. لذا يجمع الله الرحمة إلى العدالة لكى يخلص الناس وهو لا يرحم بعد الإدانة ولكنه يدين بعد الرحمة لأن الرحمة عنده سابقة على العدالة غير أن علية الله عنده نوعان: علة مطلقة وعلى نسبية، كما تظهران من هذه العبادة: "إن الله لم يخرج الأشياء إلى النور فحسب، ولكنه صنع أيضًا الأشياء التي لم تكن من قبل، وهو ليس صانعًا فقط، ولكنه خالق" بمعنى أنه يريد من العالم المعقول قد خُلق من العدم، وأن الأرواح خالية من المادة، وقد ولدها الله كما يلد العقل أفكاره، أما العالم المحسوس فنتيجة تنظيم الله لمادة سابقة أو نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة، كما يذهب اليه أفلاطون ويعلل فيلون هذه التفرقة بين الله والمادة ..... بأن الخلق صادر عن قدرة الله وعن صلاحه، فلا يُخلق من الله وحده إلاّ الموجود الكفيل بقبول هذه الخيرية . ويقول إن الله حين قال: " لنصنعن الإنسان على صورتنا ومثالنا " وقد خاطب وسطاء وأوكل إليهم صنع الجزء الفانى من أنفسنا على النحو الذي صنع هو به الجزء النطقي ، لأن الإنسان مزيج من خير وشر، والله منزه عن الشر، فلابد أن مَن يصنع الشر في الإنسان من دون الله. ولكن فيلون يفترق عن الأفلاطونية والغنوسية في أنه يجعل المخلوقات التي هى أدنى من الإنسان، مصنوعات الله، لأنها ليست بذات أخلاق ، والشر هو الشر الخلقى. ومن الوجهة الروحية علية الله مباشرة وغير مباشرة، بين الإنسان العاجز والله العلى، لابد من وسطاء، فإن النفس لا تستطيع الوصول إلى الله دفعة واحدة، فتتدرج في صعودها إليه. وقد دعا فلاسفة اليونان هؤلاء الوسطاء آلهة وأبطالاً، ودعاهم موسى ملائكة أى رسلاً، فكان أكثر توفيقًا إذ انهم يبلغون اوامر الله إلى أبنائه ويحملون صلوات الأبناء إلى الله.

**<u>الوسطاء طبقات:</u>** الوسيط الأول هو "اللوغوس" أو "الكلمة" ابن الله نموذج العالم. ويليه الحكمة، فرجل الله أو آدم الأول، فالملائكة، فنفس الله، وأخيراً "القوات" وهى كثيرة من ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ أوامر الله الأوامر الإلهية، على أن هناك نصوصًا تُشعِر بأن الوسطاء ما هم إلاّ وجات مختلفة للعلة الإلهية، وأنهم إنما يتمايزون في الذهن فقط ، ويرمزون إلى آثار الله أو حالات النفس. وقد أطال الباحثون النظر في أقواله عن اللوغوس لقرب عهده من المسيحية واحتمال تأثيره في القديس يوحنا الإنجيلى ( 11ج )

، ولكن عنده أقوال متعددة مختلفة عن يوحنا فاللوغوس تارة هو الوسيط الذي به خلق الله العالم، كما يصنع الفنان بآلة، والذي به نعرف الله، والذي يشفع لنا عند الله، وهو أحيانًا ملاك الله الذي ظهر للآباء وأعلن إليهم أوامر الله، على ما تذكر التوراة، وهو مرة أخرى قانون العالم وقدرته، بحسب مفهوم هراقليطس والوراقيين، ومرة أخرى ابن الله البكر، ومرة ثالثة الإنسان أو الإنسان الأعلى إلى غير ذلك من التصورات والصور المتباينة عن اللوغوس، وما نريد أن نقوله بصفة عامة هو أنه لا يوجد عند فيلون كلام عن الثالوث، ولا قول قريب منه ، وإذا كان يسمى أحيانًا الكلمة في بعض المواضع بأنه إله، فذاك تمشيًا مع الكتاب المقدس، دون أن يدرك كل مدلول التسمية، بل إنه يجتهد في تخفيف مدلولها فيقول: "يمكن تسميته بإلهنا نحن الناقصين"، و "بإله ثانوى" وهو إلى ذلك يطلق التسمية على موجودات هى عنده أقل استحقاقًا لها من اللوغوس: كالعالم والكواكب، على طريقة ما يفعله فلاسفة اليونان فاللوغوس وسيط بين الله والعالم "ليس غير مولود كالله، ولا مولودًا كالبشر" ولكننا لا نتبين طبيعة هذا الوسيط. والنظرية برمتها تنطوى على تناقض: إذا كانت المسافة بين الله والخليقة غير متناهية، فأى وسيط يستطيع الوصل بينهما؛ إذا كان إلهًا، كان هو أيضًا فوق متناول الخليقة؛ وإذا كان مخلوقًا، كان الله فوق متناوله، لذا فإن فهم العقيدة المسيحية في الكلمة بحسب طريقة فيلون معارضاً للمسيحية.

**الحياة الروحية :-**

على هذا التصور للوجود يؤسس فيلون تصوره عن الحياة الروحية. فغاية النفس هى الوصول إلى الله والاتحاد به. ومعرفتنا عن الله تكون 4 درجات: معرفة ناقصة جدًا تكتسب بالنظر في مصنوعات الله، وعند هذه الدرجة يقف الكثيرون، ومعرفة ترقى إلى سلم الوسطاء، وثالثة تدرك اللوغوس الوسيط الأعظم، ورابعة تدرك الله ذاته، وهى خاصة بأهل الكمال مثل موسى وإنما تسرع النفس في صعود سلم الوسطاء حالما تتطهر بالزهد، وعلى الأخص بالعبادة الباطنية. ويبدأ التطهير والصعود حين يعلم الإنسان بطلان المحسوسات وزوالها. ويدلل فيلون على هذا البطلان بحجج "أناسيداموس" (من مذهب الشكَّاك). فهو يستند إلى الشك ليضع الإنسان أمام عجزه ويدفعه صوب الله. وهو يلجأ إلى الشك مرة أخرى ليبين أن البنوة من لدن الله، وأن العرافة الإنسانية إذا زعمت تجاوز المألوف المحتمل من الأحداث إلى الأبناء بالغيب، كانت باطلة، لأن كل شئ مقدور لله، فالله وحده يعلم المستقبل، والله وحده يصنع المعجزات، وليست المعجزة معارضة لقانون الطبيعة، فإن قانون الطبيعة هو العقل الإلهى، وإنما هى معارضة لتوقعاتنا. وهذا التوقع قائم على الظنون التي نركبها عن مجرى الطبيعة والمستقبل، فنرى هنا الإيمان بالقدرة الإلهية يميل بفيلون إلى اعتبار العلوم الطبيعية احتمالية وليس غير وسيذهب غير واحد مثل هذا المذهب لنفس السبب نذكر الغزالي مثلاً في كتابه "تهافت الفلاسفة.

لقد كان لفيلون أثر قوى، ففي القرون الأولى للميلاد اتخدم البعض من المفكرين المسيحيين كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية، وقام البعض الآخر بتقليد منهجه في شرح الكتب المقدسة، وظن بعض المؤرخين المسيحيين أنه مسيحى، وفي العصور الوسطى أدخلت قطع عديدة من كتاباته في "المنتخبات" ، والتي كانت شائعة والخاصة بأقوال كثير من آباء الكنيسة.

- **<u>التعريف ببعض مصطلحات محاضرة " فيلون الإسكندري :</u>**

➢ السبعينية : هي أقدم الترجمات وأشهرها قام بها في القرن الثالث ق.م ، والاسم مأخوذ من الاثنين والسبعين شيخاً من يهود أورشليم الذين قاموا بترجمة خمسة أسفار موسى في عصر بطليموس الثاني فيلادلفوس ( سنة 285– 246 ق.م ) ولكن لم يقتصر استعمال هذا الاسم السبعينية على أسفار التوارة فقط بل أتسع ليتضمن كل أسفار العهد القديم التي ترجمت فيما بعد من اللغة العربية وصارت معروفة لدى الكتاب المسيحيين في الكنيسة الأولى .

➢ شجرة الحياة : فكرة الكابالا : تقوم فلسفة الكابالا على شجرة الحياة أصلها في السماء وفروعها في الأرض أي أنها مقلوبة راساً على عقب حيث تبدأ بالذات العليا وتنتهي بالعالم الدنيوي في الأرض البعض يرجع السبب التاريخي للتسمية إلى سليمان بن جابرول وعندما قام الباحثون والمؤرخون بالتنقيب عن أصل كابالا فوجدوا بأن هذه التعاليم تستند إلى فلسفة وثنية كانت موجودة قبل التوراة ثم تسللت إلى الدين اليهودي ولكن المعلوم هو أن الكابالا مرتبط بالدين اليهودي ويحمل صبغة ميتافيزيقية وتعاليم باطنية تبحث عن وجود الإنسان : لماذا ولد؟ ولماذا يعيش ؟ وما هو هدفه في الحياة ؟ ومن أين أتى ؟ والى أين هو ذاهب ؟ بعد ما يكمل حياته هنا في هذا العالم اشتقت تعاليمها ونصوصها من الديانات السابقة لليهودية وكلها وثنية حيث ظهرت مجموعة من النصوص اعلن عنها الأخبار في كتاب واسموها سفر زوهار والزوهار كلمة آرامية والتقاليد السرية وبظهور كتاب الزوهار حدث الانعطاف في تطور الكابالا حيث أتخذ الزوهار شكل الشرح والتعليق على أسفار التوراة الخمسة لكشف المعنى الخفي لروايات التوراة أو الوصايا الإلهية .

➢ اللوغوس عند فيلون : المولود الأول للإله وهو النموذج الأول الذي يخلق العالم على صورته ومثاله الذي من دونه لم يكن بوسع الله أن يخلق شيئاً ، فهو يحتوي ذلك العالم الذي لا يدرك الإ عن طريق العقل ويصف فيلون اللوغوس بكل صفات الحق والخير وبأنه ليس أزلياً كالله كما أنه ليس فانياً كالمخلوقات لانه من ناحية هو إبن الله وتبعاً لهذا سيكون له بدء لكن هذا البدء ليس بالمعنى الزماني وإنما في مرتبة الوجود فحسب اللوغوس هو محل " مستودع" الصور والنماذج التي على أساسها تنشأ الأشياء فهو واسطة الله في الخلق وقد تأثر فيلون بمفهومه عن اللوغوس بهيراقيطس .

- **المحاضرة الثالثة: الفلسفة اليهودية في العصور الوسطى:**

العصور الوسطى هي الفترة التي بدأت من العام 476 – 1450 لقد عاش اليهود في أوربا في تلك الفترة حالة من الاضطهاد والدونية في كل أرجاء القارة ، حيث أنه بعد أن فضح اليهود بجرائم قتل الأطفال واستخدام دمائهم في طقوس خاصة بهم ، و ازداد كره الناس لهم كثيراً ودعا العديد من قادة الكنائس آنذاك لتطبيق مبدأ القديس أوغسطين والذي يقضي بأن اليهود يجب أن يعيشوا في ظروف مهينة ومذلة وذلك ككفارة لما اقترفوه مع السيد المسيح عليه السالم ... وقام العديد من مجالس الكنيسة الكاثوليكية بحرمان اليهود من تشغيل المسيحيين عندهم وحرمان المسيحيين من السكن بجوار اليهود بإلزام اليهود بوضع عالمات خاصة على ثيابهم كتعبير عن دونيتهم ولتمكن من معرفتهم ، بل وأوصوا أيضاً فورا عامة في أعياد الميلاد ورأس السنة .... واليهود كالعادة انتقموا وحظروا عليهم الظهور في الأماكن العامة بطرقهم الخاصة ففي عام 1347م أنتشر في أوربا وباء ساحق قتل أكثر من ثلث أوربا واستمر حتى عام 1351م وهو ما يسمى آنذاك The Death Black أو الموت الأسود حيث تشير الدلائل التاريخية أن اليهود قاموا بوضع السم في مياه الآبار التي كان يشرب منها العامة مما تسبب بانتشار الطاعون .... وللتخلص من هذا الوباء الذي أعتبر لعنة من هللا على الناس فقد أصدر قادة الكنائس المسيحية قرارات بحرق اليهود في حفر كبيرة للتخلص من رذائلهم ...وهكذا عاش اليهود في أوربا في هذه الظروف حتى جاء نابليون بونابرت الى حكم بعد الثورة الفرنسية ، فكانت فرنسا أول بلد يعطي اليهود حق المواطنة عام 1791 أما في الأندلس وبعد أن هرب اليهود اليها في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر وفي ظل الدولة الإسلامية فقد عاش اليهود منذ البداية بكل حقوقهم المدنية وتعلموا وتثقفوا وتكلموا اللغة العربية ....حيث تعلم اليهود الفلسفة والعلوم والشعر والاقتصاد والسياسة وظهر منهم أشخاص مثل الشاعر إبراهيم بن عزرا...

- **المحاضرة الرابعة: مدخل في مفهوم المسيحية**

أ- **نشأتها وتطورها**
ب- **مصادرها**
ت- **نشأة الكنيسة وعصر الآباء**
ث- **المشكلة والخصائص**

لعل من التناقض في القول أن يقال أن هناك فلسفة مسيحية ؟ لماذا؟ لان كلاً من الفلسفة والدين لهً ميدان خاص، وهذان الميدانان هما في رأي الأغلبية متعارضان متناقضان ، فالفلسفة تقوم على العقل وحده بينما الدين يقوم على الإيمان ، فهو يتنافى تماماً مع ما يقتضي به الفلسفة فكان من الطبيعي أن تثار مشكلة إيجاد فلسفة مسيحي سواء في العصور الوسطى أو في أي عصر كان...

من آثار هذه المشكلة ؟! أثارها أحد رجال الدين أنفسهم ، فنحن نشاهد أن كثيراً من رجال الدين المسيحي يقولون أن الدين المسيحي ليس في حاجة مطلقاً إلى الفلسفة ؟ لماذا؟ لأن موضوع الدين المسيحي ..فكرة الخلاص التي لا صلة لها بالفلسفة بل لعل الأرجح أن يكون اشتباك الفلسفة بالدين في هذه المسألة ما يضر بالدين وبالغاية التي ينشدها الإنسان من وراء الدين وهذه الغاية هي الخلاص ولهذا نرى دمياني يقول " أنه لا حاجة للدين إلى الفلسفة وعلى هذا الأساس لا يمكن أن توجد فلسفة مسيحية ...

ما هو رأي العقليين حول مشكلة الفلسفة المسيحية ؟

رأى العقليين الذين يقولون بأن الدين يقوم على اللاعقلي ، بينما الفلسفة تقوم على ما هو عقلي ، ولهذا لا يمكن أن نجعل الفلسفة تشتغل بالدين دون دون أن يكون في ذلك خطر على الفلسفة نفسها إذ أن من المستحيل أن نجمع بين اللاعقلي والعقلي ومعنى هذا أن الدين كما أن الفلسفة ميدانها الخاص ، وليس ثمة صلة بين الميدانيين.. نعم فقد يكون من بين المسيحيين من هم فلاسفة، ولكن لا يمكن أن يكونوا الفلاسفة مسيحيين، أي لا يمكن أن توجد فلسفة مسيحية وهذا ما أكده فريرباخ في كتابه ( جوهر المسيحية ) " أن من المعقول أن يتحدث الإنسان عن فلسفة مسيحية ، كما أنه من غير المعقول أن يتحدث الإنسان عن كيمياء مسيحية أو فلك مسيحي أو علم مسيحي بالمعنى المحدود المفهوم من كلمة "علم"...

ظهر تيار ثالث من رجال الدين أنفسهم والمتشيعين للمذاهب الدينية " المدرسين المحدثين" يقول هؤلاء: أن الفلسفة يجب أن أن تقوم على العقل كما هو الشأن في الفلسفة التوماوية ، فإنها بوصفها فلسفة _ تقوم على العقل وعلى العقل وحده_ وإذا أردنا أن نفهم من كلمة مسيحية أن الفلسفة تقوم على النقل إلى جانب قيامها على العقل فإن الفلسفة المسيحية مستحيلة إذن....

وعلى هذا يذهب المدرسيون المحدثون إلى إنكار " الفلسفة المسيحية"

ملاحظة : 1. التيار الثالث : أقرب ما يكون إلى التيار الثاني

2. رأي العقليين يقضي إلى نفس النتيجة ....ومن أشهر من عبروا عن هذا الرأي هو سيرب حين قال: إن من الخطأ أن نتحدث عن فلسفة مسيحية لأن الفلسفة تقوم على العقل ولا يمكن أن تقوم على النقل، وهكذا أننا وصلنا إلى نفس النتيجة باستمرار وهي إنكار وجود الفلسفة المسيحية ...

* الإسكولائيين المحدثون* : الذين يعتقدون أن للفلسفة ميداناً هو العقل وإنها كانت تابعة للاهوت وهذا يعني أن المدرسيون المحدثون قد اتخذوا موقفاً مخالفاً للذين يغلقون على أنفسهم مجال الإيمان ومغايراً للذين يغلقون على أنفسهم مجال العقل الخالص ؟ كيف ذلك؟

1. جعلوا الفلسفة تبدأ من مقدمات عقلية خالصة ولكنها تابعة للاهوت...
2. الفلسفة عندهم تتفق مع الإيمان ؟ لماذا؟ لإن العقل يؤدي إلى حقائق والوحي مجموعة من الحقائق ، والحقيقة لا تناقض الحقيقة ..
3. والإيمان موجود بصفة مستمرة عند الاسكولائي الحديث وهذا ما يميزه عن الفيلسوف العقلي الخالص

4. الاسكولائي : هو باستمرار يبدأ من العقل لكي يصل إلى الإيمان ، ولذلك فقد ثار الاسكولائي في جميع العصور ضد التوماوية التي تبدأ من العقل واعتبروها مثل فلسفة أفلاطون وأرسطو ، وقد كان سبب الخلاف بين الاوغسطينيون والتوماويين يرجع إلى أن العقل عند المذهب الأخير يعتمد على نوره الخاص، فبهذا أصابت المذاهب السابقة بالعمى والضياع.. والنتيجة النهائية المنطقية لذلك كلهً هي إنكار الفلسفة المسيحية من جانب المؤرخين والفلاسفة والاسكولائيين المحدثين ...

**التعريف ببعض مصطلحات المحاضرة:**

1. **Schola** : الاسكولائيين : الفلاسفة المدرسيون في العصر الوسيط الذين جمعوا بين فلسفة أرسطو وعلم اللاهوت المسيحي سموا بهذا الاسم نسبة إلى الفلسفة الأوربية التي عرفت في العصر الوسيط ، الفلسفة التي كانت تعلم في المدارس وهم خريجوا هذه المدارس ...

2. **فكرة الخلاص عند المسحية** : التحرير والعتق من العبودية عند اليهود ... والتحرر من الخطر أو المعاناة لتخليص شخص ما هو أن تحرره أو تحميه والكلمة تحمل معاني الانتصار والصحة والحفظ وفي بعض الاحيان يستخدم الكتاب المقدس كلمة مخلص أو خلاص ليشير إلى الحرية الجسدية واحياناً كثيرة تعني كلمة خلاص تحرير روحي أبدي ؟ من ماذا الخلاص ؟ نحن نخلص من الغضب أي عقاب الله المستحق عن خطيئتنا وخلاصنا من عواقب الخطيئة يتضمن خلاصنا من الخطيئة نفسها؟ من يخلصنا ...؟ الله وحده القادر أن ينزع الخطيئة ويخلصنا من عقابها ... كيف يخلصنا الله؟ في معتقد الخلاص المسيحي ؟ الله انقذنا من خلال المسيح فأن موت المسيح على الصليب وقيامته هي التي حققت الخلاص والكتاب المقدس واضح أن الخلاص هو الهبة الغير مستحقه المنعم علينا بها من الله وذلك من خلال إيماننا بالرب يسوع المسيح ... فتعريف المعتقد المسيحي للخلاص هو .... التحرر الروحي والأبدي الذي يمنحه الله للذين يقبلون شروط التوبة ويعلنوا إيمانهم بالرب يسوع المسيح فالخلاص متوفر من خلال المسيح وحده والحصول عليه وضمانة يعتمد على المسيح ... شخص المسيح هو لب الديانة المسيحية وجوهرها للمسيحيين بكل طوائفهم فهو الاله المخلص وهو كل شيء بالنسبة لهم كما يقول الكتاب المقدس.

3. **فكرة الخلاص عند اليهودية** : يرى كثير من علماء اليهود أن مفهوم المسيح المنتظر لم يظهر في فترة متأخرة من تاريخ اليهودية أثناء زمن أسفار الأنبياء ، وكلمة المسيح تعني حرفياً الممسوح بالزيت وتشير إلى عادة قديمة حيث كان يمسح الملك بالزيت عندما يعتلي العرش لذلك فالمسيح المنتظر سوف يمسح بالزيت كملك في نهاية الايام ، أما المسيح الذي ينتظره اليهود فسيكون قائداً وسياسياً عظيماً من نسل داؤد وسيكون علمياً بالشريعة اليهودية وممارساً لها لذا أقترن انتظار المسيح عند اليهود بترقب عموم الخير حيث سينقلب حالهم الى أحسن حال عند قدومه ومما لا شك فيه أن فكرة المسيح المخلص جعلت الحركة الصهيونية تدعو لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين من أجل تمهيد الطريق أمام قدوم المسيح ، ومن هنا تحول مفهوم الخلاص من مفهوم ديني إلى مفهوم سياسي ...

**<u>معنى كلمة العصور الوسطى</u>: تثير عادةً في أذهان الناس معاني مرذولة ومن هذه المعاني :-**

1. إن العقل الإنساني كان مستعبداً لسلطة خارجية عنه فلا يملك حرية التفكير في داخل النطاق الذي حدده النقل أو الإيمان، وأن الفلسفة تبعاً لهذا يجب أن تكون في خدمة اللاهوت، وأن المعرفة ينبغي أن تستهدف هدفاً واحداً هو سبيل النجاة التي هي الغاية للسلوك الإنساني كله، فلا تطلب المعرفة لذاتها ولا يُبحث في العلم لمعرفة اسرار الطبيعة وتمكين الإنسان من الإفادة أكبر منها، وإنما تطلب لتحقيق نجاة الروح الإنساني وتتم النجاة عن طريق الإيمان، حتى أن تياراً قوياً ظل يستبد بالعقل في العصر الوسيط كله، كان يدعو الى الاقتصار على الإيمان كما هو بلا تعقل ولا تأويل أو إلى تعمق الإيمان بالمجاهدات والتأمل المحض...

2. ومن هذه المعاني السلبية ايضاً أن العقل قد شغل نفسه بأمور مجردة خيالية لا تفيد الإنسان في حياته الواقعية ، بل تبتعد به عنها بعداً ضاراً وانه أي التصورات الكلية وفي وحدة العقل الإنساني عند الناس جميعاً أو فردانيته وعدم إنشغال العقل الفلسفي الذي أدى إلى فيض من المناقشات الجوفاء والزائفة ... بيد أن هذا الإتهام فيه من المبالغة أو بالأحرى قصور في التقدير لا تستطيع إلا أن تتأثر بالروح السائدة في العصر ، وأن تستمد بالتالي موضوعاتها الرئيسية من التيارات العامة المنتشرة فيه، وأن تجول في الإطار الذي يفرضه...

**السؤال الآن .....؟** وماذا عن أحوال إنسان العصر الوسيط ؟

الجواب ... إنسان العصر الوسيط ساذج الإيمان ، مشغول بأمور الاخرة وحدها، هدفه في الحياة طلب الخلاص من الحياة معاً في نعيم الآخرة مفطور بحكم بدائيته لان شعوب أوربا كانت أنذاك بدائية أولية متوحشة في معظم أحوالها – مفطور بحكم بدائيته – على اعتقاد الخوارق والمعجزات ورؤية كل شيء منسوباً إلى القوى الغيبية التي لا يراها ولكنها تعمل عملها في كل شيء ، وهي العلل الحقيقية في نظره التي تختفي وراء كل الحوادث .... هذا أولاً ..

ويضاف إلى هذا الجهل الفطري ، والثقافة كانت معدومة تقريباً إلا على نفر محدود جداً من الرهبان المحدودي الآفاق بحكم توجيههم ووظائفهم في الحياة ، وكانت أوربا قد انقطعت صلتها نهائياً أو على وشك أن تكون شبه نهائي بالتراث اليوناني .... هذا ثانياً

ولهذا فإن تطور الفكر في العصر الوسيط ظل مرتبطاً بمقدار ما ينكشف لهُ من آثار الفكر اليوناني الذي عرف جزءاً ضخماً منه عن طريق الترجمة من العربية في النصف الثاني عشر والنصف الأول من القرن الثالث عشر ثم عن طريق الترجمة عن اليونانية مباشرة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ثم وما تلا ذلك من قرون بدأ دور العقل يظهر بجلاء قواه للبحث فيها والاقتصار على قليل متضائل شيئاً فشيئاً من اللاهوت حتى أن القرن الثالث عشر في أواخره والقرن الرابع عشر بإكمله ليشهد أن تطوراً هائلاً في إتجاه العصر الحديث ، يعطي الحق لمن يقولون إن النهضة المزعومة لم تكن نهضة بل كانت تطوراً طبيعياً

واستمراراً لتيار قوي بدأ من أواخر القرن الثالث عشر وإذ أن العقل لم يتحرر لأول مرة في عصر النهضة بل تم تحريره تدريجياً منذ ذلك التاريخ حتى بلغ أوجهه في القرن السابع عشر ....

وإن كنا قد استعرضنا الآراء الثلاثة ... رجال الدين .. التيار العقلي ... ثم التيار الثالث من رجال الدين " المدرسين المحدثيين " وفي ضوء النتيجة النهائية يصبح لدينا ثلاثة احتمالات :-

1. أن نقول أن الفلسفة تساعد الناس على قبول معتقدات دينية معينة وبذلك تتحول إلى علم للدفاع عن الدين...
2. أن نحكم عليها وفقاً للمعتقدات الدينية وبذلك نلقي بأنفسنا في أحضان اللاهوت وتصبح الفلسفة ثانوية ...
3. أن نقول ان الفلسفة المسيحية تعني الفلسفة الحقه، وهنا لا نكون وفقاً على المسيحيين أنفسهم.

إذن علينا أن نجد حلاً لمشكلة الفلسفة المسيحية ، هل هناك فلسفة لا يمكن ان تفهم دون المسيحية ؟ فإذا وجدت مثل هذه الفلسفة فهي إذن الفلسفة المسيحية ...

لقد رأى العديد من الباحثين أن المسيحية تحمل قضايا عملية وبذلك هي تبتعد عن الفلسفة التي تعتمد على الأفكار النظرية ، ولكن أين نجد الإثبات الديني ؟

- رأى أوغسطين في وجود فلسفة مسيحية ؟ ...

رأى القديس أوغسطين حينما فسر لنا نظرية الكلمة- اللوغوس- التي ذكرت في انجيل يوحنا " في البدء كان الكلمة " والكلمة من الله ، وكان الكلمة هو الله – الاصحاح الاول آية ( 1 ) وحيث يقول أوغسطين بأن الفلسفة هي محبة الحكمة والحكمة هي الكلمة والكلمة تجسدت على صورة المسيح وهذه الكلمة هي الحياة والحياة هي النور لم يأتي تبعاً لهذا إلا مع المسيحية، فمحبة الحكمة هي محبة النور أو الكلمة ، أي محبة المسيح أي محبة المسيحية ، وعليه فالفلسفة الحقيقية هي المسيحية إذن فهذه موجودة وهي الدين المسيحي " أفكار نظرية" ولأن أوغسطين يفصل فصلاً بين ملكة العقل وبين ملكة النقل، العقل يحول الحقائق الإيمانية إلى حقائق يقينية معقولة وهذا ما يعبر عنه بالقول : "أومن من اجل ان اتعقل " فالايمان أولاً ثم يأتي العقل بعد ذلك فيحل الشيء من حقيقة إيمانه إلى حقيقة برهانية وهذه هي المهمة الحقيقية للفلسفة فليس مهمة الفلسفة ان تبحث لتؤمن، أو تتعقل لتتعقد بل تعتقد لتتعقل

ـ رأى كل من أنسلم وتوما ومالبرانش في وجود فلسفة مسيحية ؟

يريد القديس أنسلم في كتابه " الإيمان " أن يثبت العقائد البينية غير معتمدة على نص من نصوص الوحي ولكننا نرى أن الفلسفة الاوغسطينية تثور على الفلسفة التوماوية لأنها رأت أن القديس توما لا يمثل الفلسفة المسيحية كما رأها القديس أوغسطين ، حيث أراد أن نبدأ من العقل لننتهي الى الايمان ، فسار عكس المنهج الذي يجب ان تسلكه الفلسفة المسيحية، وعلى هذا كانت

الفلسفة المسيحية عند أنصار السنه الاوغسطينية معارضه للتوماوية واستمرت هذه السنه ايضاً في العصر الحديث حتى وجدت نصيراً لها في شخص مالبرانش وعلى هذا نستطيع ان نقرر ان هناك فلسفة مسيحية ...

ويلاحظ من الناحية التاريخية أن المسيحية قد أتت بأفكار جديدة مخالفة كل المخالفة للأفكار الأساسية التي تقوم عليها الفلسفة اليونانية ... إذن السؤال الآن ؟ : ما هي تلك الأفكار الأساسية التي اتت بها الفلسفة الوسيطة عند اليونانية ؟

1. **فكرة اللامتناهي** :- هي لم تكن موجودة بالمعنى الحقيقي في الفلسفة اليونانية وإنما وجدت لأول مرة في المسيحية او بعبارة أدق في الفلسفة اليهودية المسيحية خصوصاً عند فيلون وهذه الفكرة على أساسها تقوم الميتافيزيقا في العصر الحديث حتى أواخر القرن الثامن عشر ... فديكارت حينما يصف الله يصفه بانه لا متناهي ، ومالبرانش يصفه بأنه لا نهائي لا متناه في نهائيته كذلك الحال في العصور الوسطى فقد كان كل من القديس أوغسطين والقديس أنسلم من جهة والقديس توما والسنه التوماوية من جهة آخرى ينسبون الى الله هذا الوصف بينما نجد أن اللامتناهي عند أرسطو مثلاً هو الشيء الذي يمكن أن يتصور بعده باستمرار وجود أشياء آخرى..
2. **فكرة الخلق** : وهي التي لعبت أكبر دور في الإلهيات والطبيعيات ولم تكن لتوجد لولا المسيحية فإذا قال ديكارت بالخلق المستمر قال مالبرانش بفكرة الاتفاق ، وقال لايبنتز بفكرة الخلق الأصلي فمعنى هذا أن المسيحية قد تدخلت في هذا المذاهب أي أنه دون المسيحية لا يمكن لهذه المذاهب ان تقوم ، وقد أخذ مالبرانش نفسه على القديس توما الأكويني نفسه بفكرة الطبائع التي قال بها أرسطو، وهذه تنفي أن يكون الله فاعلاً وأن الطبائع تفعل بنفسها ومعنى هذا كله أن فكرة الخلق ما كانت لتوجد في الفلسفة الحديثة لولا المسيحية ...
3. **فكرة الشخصية** : التي لم توجد بمعناها الحقيقي الا في المسيحية وبالتالي لم تكن فكرة الحرية في العصر الحديث إلا تبعاً للمسيحية وقد كانت هذه الفكرة نتيجة للمسألة الكبرى التي أثيرت في العصور الوسطى بين الاختيار وبين اللطف وكذلك الحال أيضاً في جملة مقالات آخرى قالت بها المسيحية مثل الخطيئة والخلاص والسقوط فكل فلسفة قد دخل في تكوينها عنصر من هذه العناصر فمهنى هذا أنها مسيحية وأن الفلسفة المسيحية تبعاً لذلك ممكنة الوجود..

**خصائص الفلسفة المسيحية : -**

ـ أولاً :- إنها تكمل الإيمان عن طريق العقل أو تكمل العقل عن طريق الإيمان فهي تحاول الى جانب إيمانها بالمعتقدات أن تعبر تعبيراً حقيقياً عن هذه المعتقدات وهذا ما يجب أن يفهم من العبارة المشهورة : "أومن لاتعقل "...

ـ ثانياً :- إنها محدودة المشكلات التي تشتغل بها ، فهي تتناول فقط ما هو خاص بفكرة الخلاص أي تتناول الله وصفاته، والإنسان من حيث روحه وصلته بالله ، والطبيعة من حيث صلتها بالله.... ان المسيحية أو الفلسفة المسيحية لا تحرم أصحابها أن يشتغلوا بغير هذه المشاكل وإنما تعتبر الاشتغال بغير هذه المشاكل هو حب الاستطلاع فخر ... الفلسفة المسيحية إذن بمعناها الدقيق محدودة بهذه المشاكل ...

ـ ثالثاً :- الاعتبار الاخير هو الذي ادلى به القديس أوغسطين – وخلاصته أن الفيلسوف حينما يتفلسف لا يمكن ان نفرق بين أجراء في عقله مختلفة ... فليس هناك رجل مسيحي اولاً ، يضاف اليه فيلسوف ... بل الفيلسوف يشتغل بالفلسفة بوصفه مسيحياً ... ومعنى هذا أنه لا يمكن أن نفرق بين الفيلسوف وبين المذهب الديني ...

ومن هنا فالفكر المسيحي لابد أن يكون لفلسفته طابع خاص يميزها عن غيرها وهذه تكون إذن الفلسفة المسيحية .. وهي عبارة عن نوع يدخل تحت جنس واحد وهو الفلسفة ...

**<u>السؤال الآن</u> :- كيف قسم مؤرخو الفلسفة التاريخ المسيحي ؟**

الجواب :- يقسم مؤرخو الفلسفة هذه الفترة من تاريخ المسيحية إلى دورين :

ـ الدور الأول :- يطلق عليه أسم فلسفة آباء الكنيسة ويتميز هذا الدور بالتخصص للدراسات اللاهوتية الدائرة حول العقيدة كما جاء بها الوحي .. أو بعبارة أدق كما صدرها رجال الكنيسة دون ان يسمح بتعليم أي شيء أخر بجانبها إلا القليل والقليل جداً من أراء الفلاسفة مما قد يكون ذا صلة ضرورية بالدين سواء أكانت الصلة مباشرة أو غير مباشرة ومن أبرز فلاسفة هذا الدور القديس أوغسطين ...

ـ الدور الثاني :- يطلقون عليه أسم الفلسفة المدرسية ويتميز بشيوع دراسة العلوم وكثرة الاقبال عليها والتوسع الى حد كبير في دراسة الفلسفة وتأسست فيه أكثر من مدرسة لتدريس مختلف العلوم وأن ظل تدريسها على يد رجال الدين والرهبان ولهذا سموا الدور باسم الفلسفة المدرسية وابرز الفلاسفة الذين يمثلون هذا الاتجاه البرت الأكبر – والقديس توما الأكويني ...

وعن الفرق بين الفلسفة المسيحية والفلسفة بوجه عام نقول :-

ان الفلسفة المسيحية فلسفة عملية فهي ليست معرفة مجردة عن الحقيقة وإنما هي طريق علمي للخلاص، وتمثل وحدة واحدة فهي تقدم حلاً واحداً لكل مشاكلها، والإيمان يسبق التعقل وهو أمر واجب لتثبيت الإيمان والدفاع عنه...وأما الفلسفة بوجه عام ... الفلسفة اليونانية نجد فيها اتجاهات عملية لكن ما يميز هذه الفلسفة انها تكتفي بتقديم مبادئ وقواعد للسلوك فحسب ، دون ان تقدم لنا ممارسة لهذا السلوك وطريقته، وهي

مجموعة من الآراء المتعارضة المتضاربة المتناقضة والعقل فيها يلعب الدور الاساسي لأنها فلسفة نظرية بوجه عام....

- **المحاضرة الخامسة: أوغسطين**

**( أ- حياته.. ومؤلفاته، الثقافات التي تأثر بها.... حياة الدراسة .... العوامل المساعدة على التطور الروحي لدى القديس أوغسطين، ب- العقل والنقل. ج- مشكلة المعرفة.. المنهج الأوغسطيني لمعرفة الحقيقة، مشكلة الألوهية، هـ- مشكلة العالم... و- مشكلة النفس ... ز- المشكلة الأخلاقية: الحرية والشر، ح- مشكلة السياسة )**.....

**أولاً: عصر القديس أوغسطين ...حياته ... ولادته... والثقافات التي مر بها.....**

**فلسفة العصور الوسطى** : تبدأ على وجه التدقيق في القرن التاسع وتنتهي تقريباً في القرن الرابع عشر وتنتهي تقريباً في القرن الرابع عشر....

**علل : لما سميت الفترة التي جاءت منذُ بدء المسيحية وحتى القرن التاسع بعصر الآباء؟**

**الجواب:** لأن التفكير في هذه الفترة كان مقتصراً على آباء الكنيسة الذين حاولوا أن يدافعوا عن الدين المسيحي ضد الغارات العنيفة التي شنها الفلاسفة اليونانيون المعاصرون أي الأفلاطونيون المحدثون...

وبما أننا نهتم بفترة العصر الوسيط فلن نتكلم عن عصر الآباء وسنكتفي بدراسة شخصية كبيرة وقوية لما كان لها من الأثر العظيم في الفلسفة المسيحية ألا وهي : القديس أوغسطين...

- **حيـــاته وولادته:**

ولد القديس أوغسطين في مدينة طاغشت إحدى مقاطعات مملكة روما عام 354، شمال أفريقيا ودرس في مدرسة هذه المدينة أولاً ، ثم أنتقل بعدها إلى نوميديا وبخاصة مدرسة قرطاجنة ..

- **صـفاته:**

كان القديس أوغسطين مرهف الأحساس، قوي العاطفة ، كثير التأثر، جامحاً، إلى جانب هذا بين ورع قوي ورغبة شديدة مُلحة في أقتناص اللذات ، والأخذ بأكبر نصيب في الحياة، ولهذا كانت نفسه ميداناً لصراع كبير بين قطبين متنافرين ولم يستطع إلا في النهاية أن يقضي على احداهما....

- **الثقافات التي يمثلها القديس أوغسطين :**

1. **الثقافة المسيحية :** عرفها أولاً في سن متقدمة عن طريق القديس أمبروسيوس وقد ظهرت لهُ المسيحية أولاً بوصفها مذهباً في الخطيئة والحب واللطف، وظهرت لهُ ثانياً في شكل فكرة كلية هي فكرة الكنيسة الأبدية التي بدأت بآدم وستنتهي بملكوت الله، وظهرت له ثالثاً بحسبانها تصاعداً للإنسان الروحي

من حيث أن المسيحية تضع قيماً متصاعدة في الحياة الإنسانية وتنتهي بالقيمة العليا " قيمة الإنسان في ملكوت الله"...

2. **الثقافة اليونانية:** ظهرت لـهُ على شكل حكمة وعلى شكل تعقل، كما أنه لعب دوراً كبيراً في تفكيره وفي إيمانه...

3. **الثقافة السورية الشرقية :** ظهرت لهُ في صورة المانوية وهذا المذهب استهوى أوغسطين منذُ البدء، فحاول ان يثبت كل شيء عن طريق العقل فحسب ، وحاول أن يأخذ عنه بعض الأفكار مثل فكرة الشر، وفكرة نشأة العالم ...

4. **الثقافة اللاتينية :** وظهرت لهُ في الحضارة الرومانية من حيث هي فكرة الأمبراطورية، حيث كانت مزيجاً فريداً ونظرة سياسية خصوصاً حينما نعلم أنه كان ينشد إلى ما يسمونه بالسلم الروماني.

**السؤال الآن:** ؟ هل القديس أوغسطين من فلاسفة العصر الوسيط أم من فلاسفة عصر الآباء؟

**الجواب :** ليس القديس أوغسطين إذن من فلاسفة العصر الوسيط بل هو فيلسوف من فلاسفة عصر الآباء...

**– حياة الدراسة :** بدأ أوغسطين حياة الدراسة في قرطاجنة وأبتدأ بدراسة الفلسفة سنه 373، بقراءة كتاب لشيشرون أسمه " طانسيوس " فكان هذا الكتاب أول دافع له على التفكير، وأول موقظ للروح الفلسفية عنده، وبعد قراءته لهُ بدأ يسأل نفسه ؟ ما الحقيقة ؟ وما السبيل اليها؟ بمعنى آخر ... ما هو المنهج الذي يجب أن نسير عليه لكي نكتشفها؟

ومن ناحية أخرى شغلته مشكلة الشر وأصله في الوجود حينئذٍ قام القديس أوغسطين بالبحث في المسائل الفلسفية دون التمسك بواحد منها، مبتدأ بالكتب المقدسة ، فلم يجد فيها كفايته، فأنصرف إلى المانوية ؟ لماذا؟ لأنه رأى أن هذا الدين يتحدث عن الحقيقة ويجعل الغاية من الوجود إلى الحقيقة عن طريق العقل، بغض النظر عن كل سلطة دينية، فضلاً عن هذا المذهب قد أرتضى النزعة الحسية عند أوغسطين فقد كان حسياً مادياً ، وقد أراد أن يبرر هذه النزعة، فوجد أن المانوية تؤمن بالمادة وتقول بأن الوجود يتألف من أصليين: النور والظلمة وكلاً من الاصليين حقيقيين فمن طبيعة الوجود أن توجد الظلمة إلى جانب النور، فالشر عنصر أساسي في طبيعة الحياة الإنسانية ، ولهذا وجد أوغسطين ما يبرر النزعة إلى الشر وهي موجوده عنده، بمعنى الانصراف إلى اللذات الحسية...أما من الناحية الخارجية فقد أقام مدرسة للخطابة في قرطاجنة وكان أستاذاً فيها، وأهتم بدراسة العلوم الرياضية وخصوصاً الحساب والهندسة والفلك والموسيقى وهي التي أوصى بها الفيثاغورين...

والآن السؤال ... هل أستمر القديس أوغسطين بإيمانه بالمانوية؟

وحينها درس أوغسطين العلوم الرياضية وجهت هذه العلوم فكر القديس توجيهاً جديداً وذلك أنه رأى في العلوم الرياضية وضوحاً لم يجده من قبل في أي علم عُني بدراسته، فوجد أن علم الفلك العلمي يقدم حقائق يقينية

مختلفة كل الاختلاف عن الحقائق التي تقدمها المانوية ، ومن هنا بدأ الشك بالمانوية فأصبحت الحالة التي يعانيها حالة الشك المطلق... فقال : إن الفلسفة الأكاديمية هي الحقيقة ، وليس على الإنسان إلا أن يشك وعندئذٍ بدأ بالتنقل فرحل من وطنه إلى روما سنة 383 وفتح هناك مدرسة للخطابة أيضاً ولم يستمر طويلاً في روما ، بل غادرها إلى ميلانو بعد سنة وأفتتح هناك مدرسة للخطابة أيضاً ....

والسؤال ؟ هل أستمر القديس أوغسطين في شكه للوصول إلى الحقيقة بعدما علمنا أن مبدأ الشك كانت روح أوغسطين حين رحيله من وطنه إلى روما ....

الجواب: مبدأ الشك لم يكن يتفق مع طبيعته من حيث أنها طبيعة إيجابية تنشد الحقيقة بأي ثمن ، ولذلك عزم على أن يخرج من الشك خصوصاً وأنه رأى علوماً يقينية من شأنها أن تقدم له المنهج الذي يجب أن يسير عليه ، لقد كان في هذه الفترة يقول: إن المعارف الحسية لا يمكن أن تؤدي إلى المعرفة " معرفة الحقيقة " وذلك راجع إلى الحجج التي أدلى بها الشكاك وعلى رأسهم أجريبا ضد معطيات الحس وضد التذكر فحيثما اراد أن ينشد الحقيقة كان عليه ان يلجأ إلى مصدر غير الحس وهو الوجدان " المعرفة الصادرة عن الروح مباشرة" ....

السؤال الآن : ما هي العوامل التي دفعت القديس أوغسطين إلى اتخاذ الوجدان المعرفة الصادرة عن الروح مباشرة مصدراً للوصول إلى الحقيقة ...؟؟ حينما قلنا في محاضرة سابقة أن القديس أوغسطين كان يقول أن المعرفة الحسية لا يمكن أن تؤدي إلى معرفة الحقيقة وحينما أراد أن ينشد الحقيقة كان عليه أن يلجأ إلى مصدر غير الحس..

1. العامل الأول : المسيحية : لم يكن اشتغال اوغسطين بالمسيحية جديداً بل تعلم مبادئها من قبل على يد أمه وأستمر في دراستها ثم تركها حينما أعتنق المانوية ولكنه عاد إليها لإقناعه بصحة المذهب فذهب على روما ثم إلى ميلانو كما ذكرنا ذلك في محاضرة سابقة، وذات مرة ذهب إلى أسقف المدينة القديس أمبروزيوس فسمع منه وعظاً يعتمد على التفسير الروحي للكتب المقدسة ، ففتح فلبه لهُ إلا أنه ظل منغلقاً على المسيحية وعقائدها ولم يتقبلها نهائياً ، وأثر اعتناق مذهب ثاني عمل على التطور الروحي لدى القديس وكان هذا العامل ..
2. مذهب الشك الأكاديمي : الأفلاطونية المحدثة والذي أعتنقه أوغسطين ودون أن يحصل على يقين في أي شيء وفي تلك الأثناء قرأ بعض النصوص لأفلوطين وجزءاً من تاسوعاته ، فأكتشف الميتافيزيقا وتحرر من المادية المانوية وعزم تنقية أخلاقية كما صفى فكره من قبل....

والسؤال هنا ؟ هل مكنت الأفلاطونية المحدثة هي الآخرى أوغسطين من الوصول إلى الحقيقة التي كان ينشدها؟

الجواب: بحسب مبادئ الأفلاطونية المحدثة لم يتمكن القديس بها أن يتخلص من أهوائه تحرر نهائياً، لذلك قرأ بعض رسائل القديس بولص الرسول خاصة رسالته " رسالة إلى أهل رومية" الفصل الخامس بالذات ، التي يبين فيها الرسول أن الإنسان فريسة الخطيئة وأنه لا يمكن الخلاص منها إلا بفضل السيد المسيح هنا

فقط أكتشف القديس أوغسطين ما كان يبحث عنه منذُ وقت طويل وتقبل المسيحية في سبتمبر سنة 386 وعمرهُ كان أنذاك 33 عاماً ، ومن هنا بدأت صفحة جديدة من حياة القديس فتناول التعميد على يد القديس أمبروزيوس سنه 387 وبعد ذلك أصبح رجل دين، وتبنى مذهباً جديداً كان يتطلب منهُ الدفاع عن المسيحية ضد الكفار وضد الفلاسفة، فبدأ الصراع ضد المانوية أولاً تلاه الصراع ضد أصحاب البدع الجديدة التي أقامها ما يعتبرون أنفسهم المتابعين الحقيقتين للرسل وأستمر في صراعه حتى توفي في أوغسطس سنة 430 م.

ومن هنا كلهُ نشاهد : أن تطور القديس أوغسطين قد سار من النزعة الحسية المادية إلى النزعة العقلية الأفلاطونية المحدثة، أي من الفلسفة الخالصة التي لا تعرف الإيمان إلى الفلسفة المؤمنه ، أي التي تقوم على الإيمان ، ولهذا يمكن أن يعد ممثلاً لنوع جديد من الأفلاطونية يمكن أن يسمى " الأفلاطونية الأوغسطينية" ...

3. وقد ظل بعيداً عن التأثر بالمدارس المشائيه، وبأرسطو كل البعد؟ لماذا ؟ الجواب : لأن فكر أرسطو لم يكن يلائم مزاجه، وكان تفكير أرسطو يقوم على الواقع ولا يؤمن .... ولو ظاهرياً فقط ... بالحقائق العلوية التي تعد الأساس الذي يقوم عليه بناء المسيحية المذهبي ..

- **<u>أهم الكتب التي كتبها في هذه الفترة :-</u>** 1. ضد الأكاديمين ...2. في الحياة السعيدة ..3. في النظام ... 4. مناجيات ...5. في الكنيسة الكاثوليكية ... 6. التثليث ... 7. مدينة الله ...8. الدين الحقيقي .... 9. الاعترافات ...

**ب- <u>العقل والنقل عند القديس أوغسطين :-</u>**

رأى القديس أوغسطين في الصلة بين العقل والنقل وبين العلم والإيمان ما عرف عنه بمقولته المشهورة " أومن لأتعقل" وجاء يلخصها في صيغ ثلاث رئيسية هي : -

أولاً : أن العقل يسبق الإيمان وأن الإيمان يسبق العقل، وأن الإيمان للتعقل ....

ثانياً: العقل يسبق الإيمان من حيث أن العقل هو الذي يبين قيمة الحقائق الإيمانية ، من ناحية وجوب الاعتقاد بها أو عدم وجوبه، ولكن الإيمان يسبق العقل ، لأن الإيمان يجب أن يتقدم العقل لكي يعقله...

ثالثاً: يجب أن يكون الإيمان متجهاً نحو التعقل ، فلا يكون إيماناً ساذجاً بل إيماناً عقلياً لأن الإيمان في درجة أقل بكثير من التعقل ، ولابد للإنسان إذن أن يرتفع عن مرتبة الإيمان الساذج إلى مرتبة التعقل وسنرى ذلك واضحاً عند الكلام على مشكلة الحقيقة ....

**ج- <u>مشكلة المعرفة :-</u>**

عُني أوغسطين بمشكلة المعرفة عناية خاصة، ونظر إليها نظرة خاصة أيضاً، فقد ظهرت له هذه المشكلة لا كما ظهرت لليونانيين بل ظهرت لهُ على صورة مشكلة عاشها ودفع ثمنها من حياته نفسها ... وكان عليه أن يعنى بهذه المشكلة لان البحث عن الحقيقة يقتضي أولاً : أن يثبت الإنسان إمكان الحقيقة ولهذا كان أوغسطين من هذه الناحية شبيهاً كل الشبه بفلاسفة العصر الحديث، من حيث أنه بدأ بحثه عن الحقيقة بالبحث في " إمكان الحقيقة" فأول كتاب فلسفي كتبه القديس هو ضد الأكاديميين أي ضد الشكاك فعارضهم أولاً في نقدهم للمعرفة الحسية حين قالوا أن الحواس خداعة وأن احوال الاحلام والهلوسة تقتضي أن نعرف أولاً منهج البحث ، أي الطريق الذي نستطيع بواسطته ان نصل الى اكتشاف الحقائق، وقد وجد هذا الطريق عند أفلاطونيين المحدثين وهو طريق الوجدان، اي المعرفة المباشرة العيانية فعلى الشخص أن يبدأ البحث عن المعرفة بالذات ، وعن طريق اكتشافه للذات يصل إلى الحقيقة ، أو على الأقل يصل إلى المنهج الذي يثبت به إمكان هذه الحقيقة وثانياً: الطريق الموصل إلى هذه الحقيقة ... بدأ أوغسطين الشك فقال: إن الناس مختلفون في الحياة، والتذكر ، والعلم، الإرادة، والحكم– أهي تنسب إلى الهواء أم إلى االنار أم إلى الدم؟ ولكن هؤلاء جميعاً متفقون على أنهم يشكون ، فهناك حقيقة يقينية إذن وهي الشك .... وهذه الحقيقة تقتضي أيضاً حقائق آخرى مرتبطة بها : هي الحياة ، التذكر، الحكم ، الإرادة....

– **إثبات وجود الشك الحقيقي والذات :** يقول أوغسطين الذي يشك يحيا والذي يشك يعلم أنه يشك، والذي يشك يريد اليقين والذي يشك يتذكر ما يشك فيه، والذي يشك يحكم بأن الحقائق لا يمكن ان تؤخذ مباشرة بوصفها شيئاً يقينياً – ومعنى هذا كله : أن الشك أولاً موجود، وهو حقيقة وثانياً : أن العمليات النفسية المتصلة بهذا الشك هي أيضاً حقائق يقينية ومعنى هذا أننا قد وصلنا إلى إثبات وجود حقائق يقينية ... ولكن هذه الحقائق معناها أيضاً أن هناك ذاتاً هي التي تشك وهي التي تقوم بكل هذه العمليات النفسية ومعنى هذا أننا قد وصلنا أيضاً إلى إثبات وجود الذات...

**– السؤال الآن : ما الأداة المعرفية التي أستخدمها القديس للوصول إلى إمكان الحقيقة؟**

الطريق أو الأداة التي استخدمت لإثبات هذه الأشياء هو " المعرفة المباشرة" الوجدان أو الحدس وذلك لأننا في المعرفة الحسية لا نتصل بالحقائق مباشرة بل كل ما يقدم الحس هو صور آخرى للحقائق بإزائها لأن هذه الحقائق حاضرة أمام النفس مباشرة ، وتدرك عن طريق العيان والوجدان، ولهذا فأن مقياس الحقائق يكون حضورها في النفس مباشرة إلا أن مشكلة المعرفة لم تحل بهذا ، لان كل ما استطعت أن أصل إليه هو أنني عرفت ذاتي والحقائق الخاصة بها، أما ما عدا غيرها من الذوات الآخرى والأشياء الخارجية ، فلم أستطع أن أعرفها بعد..... ولذا فهو يقول : لكي ينتقل الإنسان من العالم الذاتي إلى العالم الخارجي ، لابد أن يبحث عن طريق آخر وهنا تظهر الأفلاطونية المحدثة فنراه يفرق بين عالميين : العالم الحسي والعالم العقلي ...

القديس أوغسطين لم يقل بما قال به الشكاك : إن العالم الحسي باطل بل قال بأن له حقيقة ووجوداً، وأعطى له كل ما لديه من قيمة في اكتشاف المعرفة إلا أنه قال أن العالم الحسي غير كافٍ لأن المعرفة الحسية تؤدي فقط إلى الإيمان لا إلى العلم، وكأنه متفقاً مع الفلاسفة الأفلاطونيين سواء المحدثون أوالقدماء ...

.. سؤال أخر ؟ ما هي المعرفة المؤدية إلى العلم ؟ هي معرفة الحقائق الأزلية الأبدية وهذه الحقائق الأزلية الأبدية موجودة بطبيعتها في النفس الإنسانية وهذه الحقائق الأزلية هي حقائق العلم وهي حقائق المنطق والعلوم الحرة والرياضة ....

سؤال آخر؟ هل معنى هذا أن المعرفة الحسية مختلفة تماماً عن معرفة الحقائق الأزلية الأبدية ؟ الجواب : هنا يشابه أيضاً ما قال به أفلاطون لكي تكتشف الحقائق الكامنه فيها ... وهذه الحقائق هي المقياس الذي نقيس به ما ندركه ، فمن ناحية : الحس ضروري لأنه بحث في إدراك الحقائق الأبدية ، وهذه ضرورية بالنسبة إلى الحس لأنها المقياس الذي به نعرف حقيقة المعارف الحسية .... وهنا تعترضنا مشكلة آخرى ؟ هي الأتفاق الذي نراه في الحقائق الأزلية باعتبارها مشتركة بين جميع الأفراد، فهي حقائق مشتركة .. فمن أين جاء هذا الاشتراك ؟ يفرق أوغسطين بين نوعين من الوقائع : الوقائع النفسية والوقائع المنطقية أو الميتافيزيقية فمن الناحية النفسية طريقة الإدراك مختلفة بالنسبة للأفراد ، أما من الناحية الثانية – المنطقية – فأن موضوع الإدراك والحقائق تبعاً لهذا أزلية أبدية لا تخضع للأفراد ، ولا لعوامل الزمان ....

سؤال ؟ من أين تأتي أو أتت هذه الحقائق الأبدية التي نجدها في نفوسنا ؟ ما هو مصدر هذه الحقائق؟ هنا يستعين أوغسطين بالأفلاطونية المحدثة فيلجأ إلى نظرية الإشراق أو الاشعاع يقول : إن هناك نوراً أزلياً أبدياً هو الشمس الذي نستطيع من خلالها أن ندرك الحقائق وهذه الحقائق الموجودة في النفس هي فيض من النور الاول وهو الله أو بعبارة آخرى هو اللوغوس أو كلمة الله وهذا يتفق تماماً مع ما جاء في مستهل الإنجيل الرابع ولهذا وجد أوغسطين أن الاتفاق تام بين الأفلاطونية المحدثة وبين المسيحية ....

فالحقائق الموجودة في النفس هي إذن من فيض الله وهي تؤكد وجود شيء هو المحدث لها، ومعنى هذا أن هذه النظرية " نظرية المعرفة" تقودنا إلى نظرية الله وهنا نرى الشبه الكبير جداً بين ديكارت وأوغسطين ، فالأول وصل إلى الذات عن طريق الحقائق التي رآها مودعة في الذات وكذلك فعل أوغسطين ، وديكارت جعل الضمان لهذه الحقائق هو الله، وكذلك فعل أوغسطين .....

**د- <u>مشكلة الله " براهين وجود الله"</u>** : – رأينا في عرضنا لمشكلة المعرفة أننا قد وصلنا إلى الله عن طريق وجود الحقائق الأزلية الأبدية في الذات وعليه قدم أوغسطين براهينه الثلاثة طالما أن الحديث عن الله هو موضوع سعادتنا وحده كما قدمه أوغسطين...

1. إن الذات تكتشف أن هناك حقائق، وهذه الحقائق علتها لأبد أن تكون من جنسها فهناك إذن موجود أزلي أبدي وهذا الموجود، هو الله والوجود والماهية شيء واحد، ولهذا فإن الماهية في تصورنا لله في نفوسنا تقتضي الوجود، ففكرة الله الموجودة في نفوسنا تقتضي وجوده أيضاً، فالله إذن موجود.

2. إن التغيير في الوجود يتم بأن يتخذ الشيء صوره مضادة له، وعلى ذلك لا يمكن أن يكون الشيء هو الذي يعطيها لنفسه، لأن هذا مستحيل ، والإ لما كان في حاجة لأن يعطي نفسه ما هو موجود فيها من قبل فأعطاؤه الصوره لا يمكن ان يتم إلا عن طريق موجد للصورة .. ومعنى هذا أن هناك علة أو خالقاً هو الذي يهب الصورة وهذه العلة باعتبارها واهية هي الله..

3. البرهان الثالث : يشبه البرهان الثالث على وجود الله البرهان الغائي المعروف، وفيه نجد أوغسطين يقول : أن في الوجود نظاماً وجمالاً، وهذا النظام والجمال لا يصدر إلا عن موجد فنان وهو الله .

وبعد أن أثبت وجود الله بقي عليه أن يثبت صفاته وهنا يقول: إن الله لا يمكن أن يدرك أو يوصف لأنه فوق الوصف والكلام وكل تشبيه بينه وبين الإنسان باطل وهذه الصفات ليست شيئاً يضاف إلى الذات بل هي عين الذات ويعتبر من الكفر أن نقول أن الله غير الحقائق الازلية لان هذه الحقائق الازلية الابدية هي صفات الله وليست زائدة عنه والوصف الذي نستطيع ان نصف الله به هو الوجود، والوجود بالمعنى الاخلاقي هو الشيء الحقيقي الذي يمكن أن يتصف به الله إذن هو الوجود الخالص بأكمل معاني الكلمة والأشياء توجد لان الله يعلمها ولا يعلمها الله لأنها توجد فالأشياء والأفكار لا وجود لها الا من حيث هي معلومة عند الله وتضاف الى صفة العلم صفتان آخريان هما : صفتا الإرادة والقوة فالله يريد وإرادته ممتدة إلى كل شيء وهذه الإرادة ليست اختيارا مرتبطاً بوقت أو بمكان ، بل هي إرادة واحدة تتعلق بها الأشياء مرة واحدة والله يفعل ما يريد فالإرادة والقوة متساويتان وسيظهر هذا الكلام جلياً عند الحديث عن مشكلة العالم.....

هـ- **مشكلة العالم** :- في نظرية أوغسطين في العالم نشاهد أنه تأثر بأفلاطون وبالأفلاطونية المحدثة خصوصاً فالقديس أوغسطين ينظر إلى العالم نظرة تفاؤلية جمالية أولاً كما هي نظرة أفلاطون في طيماوس وكما هي نظرة الفيثاغورين من قبل وذلك لأن العالم في نظره منتظم متناسب الأجزاء يسوده الانسجام لأنه يقوم على قواعد من القياس والعدد والصورة فهو يقوم على العدد لأننا نعد الأشياء وعلى القياس لأننا نقيس الأشياء ويقوم على الحجم او الثقل لأننا نزن الأشياء والقوانين الرياضية هي التي تسود العالم سواء اكان كواكب أو أراضي والخلاصة بأن العالم منسجماً انسجاما تاماً .. وعن الأفلاطونية المحدثة : أخذ أوغسطين فكرة التفرقة بين الهيولى الجسمانية والهيولى الروحانية فالهيولى الجسمانية هي الهيولى الخاصة بالكائنات غير الحية إلا أنه لا يمكن أن نفهم من هذا أن أوغسطين ينكر وجود المادة ويعتبرها عدماً كما قال أفلاطون ، وإنما يقول ان لها وجوداً على أساس انها قوة قادرة على أخذ الصورة ، وعلى هذا فالهيولى مبدأ للوجود وليست وجودا حقيقياً ، وحينما ينتقل أوغسطين من بيان طبيعة الموجودات إلى بيان نشأتها يرى أن هناك مذهبين : 1. مذهب يقول أن الوجود أصله عنصر مادي 2. وآخر يقول أن أصل الوجود جوهر عقلي وكان طبيعياً من حيث أن القديس أوغسطين أفلاطوني أن يقول القول الثاني فيعتبر أن علة الأشياء مبدأ عقلي فهو يرجع الموجودات من حيث وجودها إلى علة عاقلة مدبرة إلا أنه لا يستطيع ان كان يريد ان يظل مسيحياً أن يأخذ بما قال به أفلاطون من قبل أن الهيولى قد وجدت مع الصانع ولم تكن من خلقه لقد كان عليه أن ينكر هذا ويقول بأن الهيولى من خلق الصانع أو الله، فكان القديس إذن يقول

بمبدأ الخلق – وكان طبيعياً ان يقول بهذا ما دام فيلسوفاً مسيحياً ثم يستمر في بيان خلق العالم من حيث ضرورة الوجود– فيقول بأن هذا الوجود ليس ضرورياً ومن هنا يصف كيفية الخلق بأنه اولاً راجع إلى خيرية الله ثم إلى عقله، فالعالم لم يوجد تبعاً لضرورة قاهرة ، وإنما وجد لأن الله خير والخير لا يفعل إلا الخير والوجود خير من العدم ولهذا أوجد العالم فالعالم من حيث وجوده، فيض من خيره....كالفنان يرتب الأشياء بحسب الغاية التي ينشدها فالعالم إذن فيض من خير الله ودليل إرادة الله ومرتب حسب عقل الله وعن الزمان يقول أوغسطين أن الزمان صوره الابدية والزمان لا وجود له بوصفه أزلياً أبدياً، وإنما وجد الزمان كما وجدت الأشياء وكان عليه أيضاً أن يقول بأن الزمان مخلوق فالأشياء التي خلقت لتحفظ لابد لها من شيء يحفظها وهذا هو فعل الله ولولاه لفنيت الأشياء وهذا طبيعي لأن وجود الأشياء مستمد من وجود الله ولو توقف الفيض الإلهي لصارت عدماً وهذه النظرية هي التي سيقول بها ديكارت.....

**و- <u>مشكلة النفس عند أوغسطين</u> :-**

علمنا أن نقطة البدء عند أوغسطين كانت في معرفته لذاته، ومن هذه المعرفة استخلص كل الحقائق الآخرى .. وطبيعة النفس لديه هي جوهر غير مادي خالد ولإثبات ذلك قال: إن الإنسان لا يدرك ذاته إلا إذا فكر وهذا يؤدي عن طريق الذاكرة إلى إثبات وجود الذات لأن الذاكرة هي التي تؤكد لنا دوام الذات وترجع أحوال النفس إلى مصدر واحد هو الذات .... ومعرفتنا بالذات تقودنا حتماً إلى إثبات أنها جوهر إلا أننا إذا أبعدنا عن الذات كل ما ليس له أتصال جوهرياً بالذات أي إذا أرجعنا الذات إلى التعقل والإرادة والحياة فإننا نجد أنها غير مادية بل هي أشياء روحية فجوهر النفس روحاني ....

**<u>- خلود النفس</u> :-** بعد ما وجد أوغسطين أن أقوال السابقين ليست كافية قدم برهانه على خلود النفس بالقول " أن الحقائق الأبدية أبدية هذا من جهة ومن جهة آخرى هذه الحقائق الأبدية لا يمكن أن تنفصل عن النفس وعلى ذلك فالنفس أبدية كأبدية الحقائق الموجودة بها..... وهذا البرهان يقيمه على أساس الإيمان والمسيحية والآن كيف وجدت النفس والروح؟

لدى أوغسطين ثلاثة آراء حول التساؤل أعلاه :-

1. الرأي الأول : يرى أن الروح تأتي للولد من الآب بالوراثة .
2. الرأي الثاني : أن الروح تخلق خلقاً من جديد.
3. الأرواح أزلية وهذا الرأي هو رأي أفلاطون ، ولم يتمكن أوغسطين من الإيمان به، كما أن فكرة الخطيئة في المسيحية كانت تميل به إلى الأخذ بالرأي الأول ؟ لأن الخطيئة مفروض فيها أنها توارثت من آدم إلى جميع الأجيال..

**<u>- الصلة بين النفس والجسد</u>:-**

عند أوغسطين الجسد لا يؤثر في الروح أو العكس، ولابد من وجود جوهر وسط أو مادة وسط، عن طريقه يتم الاتصال بين الجسد والروح لكي يتمكن الواحد أن يؤثر في الآخر ... والنفس موجودة في الجسم بأكمله كما أهتم بالذاكرة وربط الإحساس بالزمان وبالذاكرة التي عدها مصدر ذلك االشعور من حيث أن الشعور بالزمان يولده الانتباه أولاً ، فهذا بدوره يولد شعور الحاضر وثانياً الذاكرة وهذه تولد شعور الماضي وثالث وهذا يولد شعور المستقبل ...

وأخيراً يقسم أوغسطين النفس كالتقسيم القديم : نفس عاقلة ، ونفس غضبة ، ونفس شهوانية ويعتبر أوغسطين أن تقسيمه بمثابة الثالوث فأقانيم الثالوث تقابل تماماً الأقسام الثلاثة للنفس وبعد ذلك يستمر أوغسطين في تحليل الظواهر الآخرى للنفس خصوصاً الإرادة فأدخل تحت الإرادة وجدانات ثلاثة : الشهوة ، الغبطة ، الخوف ، وأما الإرادة فهي حرة أي تصدر الأفعال باختيار الإنسان لها....

ز- **المشكلة الأخلاقية** :- مشكلة الشر : الشر عند أوغسطين إما طبيعي وإما أخلاقي ترتبط به الحرية واللطف الإلهي، وفيما يتصل بالنوع الأول يلاحظ أن الأشياء ينظر إليها في ذاتها فإنها خيره فإن قيل : أن العالم مسرح للخراب والدمار بفعل العوامل الطبيعية كالزلازل والبراكين – فالرد على هذا هو أن الأشياء التي زالت وفسدت هي ليست شراً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة فهذا هو نظام الكون والفساد فلا بأس أن تحل بعض الأشياء محل بعض، وأنه لجميل منظر التغيير الذي يحدثه بعض العوامل الطبيعية فنوع الشر هنا نسبي ؟ لماذا؟ لأنه يعود إلى قانون التغيير الذي لا يرحم ...أما الشر الأخلاقي فأمره صعب؟ لماذا؟ لأنه يعود إلى حرية الإرادة الإنسانية فالإنسان حر في اتخاذ الطريق الذي يريد إما الخير إما الشر .... ويبقى السؤال : لماذا شاء الله أن يعطينا حرية الفعل للخير والشر على السواء؟ أما كان الأولى أن يقصرنا على فعل الخير فقط ؟

الجواب : إن حرية الإرادة إذا نظرنا اليها في ذاتها فهي أمر حسن وإنما سوء استعمال هذه الحرية هو الذي يحيلها إلى الشر والطبيعة الإنسانية كانت قبل مشكلة خطيئة آدم خير ، لكنه نتج عن ذلك أمران: الشهوة والجهل ولهذا تحولت طبيعته وكأن الله قد خلقها في الاصل خيره إلى طبيعة فاسدة ، لكن الله بفضل منه يمكن أن يرد هذه الطبيعة إلى الخير .... وهذا هو اللطف الإلهي الذي طالما أكده أوغسطين ومن جاء بعده إلى اليوم

- **المشكلة السياسية** :- وهذه المشكلة أيضاً قد حلها أوغسطين على النحو الذي حل به بقيه المشاكل الاخرى بأن جعلها مرتبطة بمشكلة الله، وقد اتجهت عنايته إلى السياسة في الدور الثالث من حياته على وجه الخصوص لأن المشاكل السياسية كانت تضطرب بها الامبراطورية الرومانية التي كانت على وشك السقوط وعن هذه المحاولة نشأ كتابه العميق " مدينة الله" وفي هذا الكتاب يتناول جميع مظاهر الحياة الروحية والعامة من سياسية ودينية وعلمية وفنية على طول التاريخ محاولاً أن يستخرج من هذا نظره في التاريخ

ويتحدث أيضاً عن الدولة فيقول أن الدولة لا تنشأ عن عقد ولا تنشأ كذلك عن خطايا الناس ، وإنما تنشأ عن الغرائز الموجودة في الطبيعة الإنسانية ولهذا فالدولة ضرورية وليست شيئاً عرضياً ...

والسؤال؟ ما هو المثل الأعلى للدولة ؟ المثل المسيحي وهذه الدولة التي يتصورها هي التي تستمد سلطتها من الله مباشرة ومعنى ذلك أنها لن تكون دولة علمانية خالصة ، بل ستكون دينية كذلك...

والسؤال ؟ ما هي مهمة الدولة نقول : إن هذه الدولة ستكون مهمتها الأصلية ما يتصل بالحياة الدينية أي أنها ستعمل من أجل تحقيق السعادة على الأرض وتحقيق السعادة في الآخرة بالنسبة للمواطنين ومن هنا نستطيع أن نحدد العلاقة بين الدولة والكنيسة فالأخيرة تشرف على الأولى من أجل توجيهها إلى الحياة الآخرة والدولة تساعد الكنيسة على تحقيق أغراضها .... وظاهر من هذا أن النصيب الأكبر هو للكنيسة ولكن نلاحظ مع ذلك أنه لم يشأ الفصل بين الأنثيين بل جعلهما مرتبطين تمام الارتباط ومن هذا الارتباط يمكن أن يقوم السلام في الأرض .....

- **المحاضرة السادسة: القديس أنسلم**

أ- **<u>: حيـــــاته ومؤلفاته:</u>**

ولد القديس أنسلم في مدينة أوستا ( شمال إيطاليا) ودرس دراسته الأولى في مدارس البندكتية ، وتبعاً لهذه المدرسة الدينية أراد أن يكون أحد رجال الدين، وساعدته أمه على هذا الاتجاه أما أبوه فقد كان معارضاً أشد المعارضة في دخوله في زمرة رجال الدين فلما ماتت والدته أنصرف عن الدين وأتجه إلى الحياة العامة ، وعانى في تلك الفترة من أزمة عنيفة كانت نتيجتها أن عكف عن الحياة المادية ، وانصرف عن كل تفكير في الدين...التحق بالمدرسة الملحقة بدير بك بعد وصوله مقاطعة نورماندیا وبعد أن أتم هذه الدراسة اختار أن يحيا في الدير وانتخب رئيساً وظل في هذا المنصب خمسة عشر عاماً...

**<u>- أهم مؤلفاته : -</u>**

أهم مؤلفاته : كتاب مناجاة مونولوجيا Monologium " مناجاة النفس" ، كتاب في الحقيقة ثم كتاب في التثليث والمهم في تعليم أنسلم أنه أتى بمذهب جديد إذ لم يكتفي بالكتب المقدسة وحدها بل أدخل اليها الجانب العقلي الخالص.

**ب- <u>العقـــــل والإيمان : -</u>**

شُغل القديس أنسلم أول ما شغل بمشكلة العقل، وكانت أحوال التفكير تنقسم في ذلك العصر إلى قسمين : الديالكتيون من جانب واللاهوتين من جانب آخر ، الديالكتيون أرادوا تحكيم العقل في العقيدة ،

فانكروا كثيراً من المعتقدات التي تعتمد على الوحي دون العقل كما أنكروا اليوم الأخر، .... وكل الأفكار التي تتصل بالعقيدة من حيث هي عقيدة دون أن تكون قابلة للبرهنة العقلية ... وكان من أشد أنصار هذه الحركة الأسميون ...

- **موقف القديس أنسلم من كلاً الفريقيين : -**

القديس أنسلم وقف ضد كلاً الفريقيين ؟ كيف ذلك ؟ كيف علل ذلك؟ لقد أتخذ القديس أنسلم لنفسه طريقاً وسطاً بين الديالكتيين وبين رجال اللاهوت – وقال : إن الديالكتيين مخطئون لأنه لابد من البدء أولاً بالإيمان وليس العقل بأسبق على الإيمان ولا يمكن للعقل وحده أن يؤدي إلى الإيمان... هذا من ناحية ومن ناحية آخرى قال أن رجال اللاهوت يرتكبون إهمالاً شنيعاً حين ينصرفون عن تعقل مضمونه الإيمان والواقع أنه لابد من الإيمان لكي يتعقل مضمون هذا الإيمان، وهذا ما يُفهم من قوله : إنني لا أبحث من أجل الإيمان ، بل أو من لأتعقل ، فهو بهذا يأخذ على الديالكتيين ادعائهم ، كما يأخذ على اللاهوتيين إهمالهم... ويلاحظ أنه إذا لم يكن ثمة وسط بين البرهنة وعدم البرهنة على حقيقة ما فإن هناك وسطاً بين تعقل الحقائق وعدم تعقلها وهو تعقل الحقائق قدر الإمكان فإذا رأينا أن مضمون الإيمان يمكن أن يتعقل فعلى الراس أن ينحني وعلى العقل أن يؤمن ... وإذا رأينا أن العقل لا يمكن أن يؤمن ببعض الأشياء فعلى الراس أن ينحني وعلى العقل من جديد أن يؤمن .... وإذا رأينا أن العقل يناقض مضمون الإيمان فعلى العقل أن يخضع ويؤمن ..إذن المرجع في النهاية إلى الإيمان ...

**ج- براهين وجود الله :-**

عرض أنسلم براهين وجود الله في كتابين :

- كتاب المناجاة: Mondgium

- كتاب: Prosologium

الكتاب الأول هو أقل شهرة من الكتاب الثاني ؟ الجواب: لأن الثاني يحتوي البرهان المعروف باسم البرهان الوجودي على وجود الله... وبراهين وجود الله الموجودة في كتاب " مناجاة " براهين ثلاثة " ثلاث حجج" تقوم على آمرين : -

1. إن الكائنات مختلفة من حيث درجة الكمال.
2. أن اختلافها في الكمال إنما يرجع إلى مشاركتها في كمال أكبر وهو " الله"

- البرهان الأول : يقوم على فكرة الخير ...يقول القديس أنسلم : إن الناس يعشقون الخير، إلا أن مقدار الخير يختلف بين الناس ، وكل خير لابد له من علة ، فهل هناك علل مختلفة لكل خير؟ أم أن ثمة علة واحدة لجميع أنواع الخير؟ نقول : – إذا اختلفت الأشياء في موضوع واحد فإن علتها لابد أن تكون واحدة ، فالعدالة الموجودة في عدة أفراد بنسب مختلفة لابد أن تكون علتها عدالة واحدة تسود الناس جميعاً كذلك الحال في الخير ... لابد أن يكون مرجعه وجود خير أسمى أو مطلق ، والخير المطلق أسمى من جميع

أنواع الخير، لابد من التفرقة إذن بين ما هو خير بذاته ، وما هو خير بغيره.. إذن هناك خير مطلق وهو أسمى درجة من الوجود وهو الكائن الأكبر ... وعلى ذلك فالخير المطلق هو الوجود الأكبر ، وهو الله ..

– البرهان الثاني : يقوم هذا البرهان على فكرة الوجود، تشترك جميع الأشياء في كمال عام تام وهو الوجود، ولكل موجود علة ؟ ذلك لان الأشياء ممكنة وليست واجبة، أما الواجب فهو وحده الذي يمكن أن يعد بلا علة ، ولكن العلة لجميع هذه الموجودات موجود واحد أول وهذا الموجود الأول هو الله، وهذا البرهان يسمى برهان الواجب والممكن وبهذا نصل إلى موجود بذاته إليه ترجع الاشياء وهذا الموجود ذاته هو الله....

– البرهان الثالث: يقوم هذا البرهان على فكرة الكمال في الكائنات فثمة تفاوت في مراتب الكمال بين الموجودات فليس من شك أن الإنسان أكمل من الحيوان ، وإن لم يسلم الإنسان لما أستحق أن يكون إنساناً، ... معنى ذلك ؟ معناه أن ثمة تفاوت في مراتب الكمال بين الموجودات ... مثال : الفرس أكمل في الوجود من الشجرة ، والإنسان أكمل من الفرس ، وإذ لم يؤمن الإنسان بهذا لما أستحق أن يكون إنساناً ، معنى هذا كله.. أن هناك اختلاف في درجات الكمال والمسألة هيّ: هل ترتفع درجات الكمال إلى غير نهاية؟ أم تقف عند حد؟ أم توجد كائنات متعددة كاملة بذاتها؟ الجواب : إذا قلنا أن درجات الكمال ترتفع إلى غير نهاية لوقعنا في تناقض أو على الاقل نرى من المستحيل ان تكون الكائنات غير متناهية في الكمال وإن قلنا بوجود جملة كائنات متساوية في الكمال وليس هناك كائن اعلى فإن هناك صفة مشتركة وهي ان الكائنات جميعاً أكمل الأشياء وهذا الكمال المشترك إما أن يرجع إلى ماهيتها وإما ان يرجع إلى شيء غير الماهية وهذا الشيء سيكون كمالاً اكبر من كل الكمالات فلابد إذن من وجود كمال أعلى هو الكمال الأول وهو الله ... هذا البرهان يقوم على فكرة التصاعد في الكمال إلا ان هذه البراهين ليست عقلية تماماً ومعقدة إلى حد ما وظاهر فيها الأثر الذي احدثه أوغسطين في القديس أنسلم برغم من أن القديس أنسلم قد وضع مذهبه وضعاً منطقياً محكم التركيب ومن هنا رأى انسلم أنه لابد من الالتجاء إلى برهان فوق البراهين كلها ، برهان واحد يستطيع أن يقتنع به كل إنسان ، وهو برهان قبلي وهذا هو البرهان الوجودي المشهور عند ديكارت ....الأنطولوجي.

– **<u>البرهان الأنطولوجي "الوجودي"</u>** : – يقوم هذا البرهان على أنه لدى كل إنسان فكرة عن موجود لا يمكن أن يتصور موجوداً أكمل منه، وهذه حقيقة إيمانية يقدمها لنا الإيمان ويجعلنا نؤمن بها.. ولكن يبقى علينا بعد ذلك أن نثبت أن هذه الفكرة الموجودة في الذهن موجودة أيضاً في الخارج ، فقد ورد في المزامير .. أن الجاهل قال في قلبه لا يوجد إله.. ولكن الإنسان حين يقال لهُ: الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أكمل منه ويفهم من هذا الكلام ويعقله ومعنى هذا أن مثل هذا الكائن موجود على الأقل في الذهن إن لم يكن موجوداً في الخارج ويمكن أن نتصوره موجوداً في الخارج كذلك .. وذلك مثل الفنان الذي يتصور في ذهنه أولاً اللوحة التي يرسمها، وفي اثناء تصوره لها يعلم أنها موجودة في ذهنه فقط دون أن تكون موجودة في الخارج، ولكن إذا حققها في الخارج فهو يعلم أن لها وجودين: وجوداً ذهنياً وآخر خارجياً ، فإن قلنا عن كائن أنه موجود في الخارج إلى جانب وجوده في الذهن فإن هذا القول يضيف إلى الكائن صفة كمال أكبر ، فإذا نظرنا إلى الفكرة التي في ذهننا عن الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أكبر منه، وجدنا أننا إذا قصرنا... قلنا

أنه موجود في الذهن فحسب لكان هذا الكائن أقل كمالاً كم كائن آخر موجود في الذهن وموجود في الخارج، ومعنى هذا وجود كائن أكمل من أكمل كائن يمكن أن يتصور وهذا محال ... إذن فالكائن الذي لا يمكن أن يتصور أكمل منه لابد أن يوجد في الخارج الواقعي أيضاً وهذه الفكرة التي لدينا أكبر كائن يمكن أن يتصور هي إذن حقيقة مطابقة لموجود حقيقي هو الله .. وعن هذا الطريق نستطيع أن نقول أن الله موجود، يقوم هذا البرهان إذن على فكرة موجود أعطاها لنا الوحي وعلى هذا الأساس كان هذا الكائن هو أكمل كائن يمكن تصوره، ويقوم على أن مثل هذا الكائن لابد بالضرورة أن يوجد في الخارج.. تلك هي الحجة الوجودية الخطيرة التي لعبت دوراً كبيراً ابتداء من القديس أنسلم غلى عصرنا الحالي وكانت موضوع الخلاف بسبب قيمتها....

هذه هي الحجة الوجودية المشهورة ... البرهان الوجودي الانطولوجي

– قلنا أن الحجة الوجودية ... حجة خطيرة لعبت دوراً كبيراً ابتداء من القديس أنسلم حتى عصرنا هذا، وقلنا كانت موضوع الخلاف وقد ظهر هذا الخلاف منذ أيام القديس أنسلم أيضاً ، فقد وجد له معارضاً قوياً في شخص الراهب جونيلون ... الآن .. نقد البرهان الوجودي من قبل الراهب جونيلون ... سنأتي الآن على اعتراضات الماهية عند جونيلون...

في كتاب جونيلون للدفاع عن الاحمق عارض جونيلون برهان أنسلم الوجودي؟ لماذا؟ لأنه لا يُقنع من ينكر وجود الله والذي قال فيه رداً على أنسلم : ليس كل ما يمكن أن يتصوره الذهن بموجود حقيقة وإلا لما امكن الخطأ ... فنحن نتصور كثيراً من الأشياء التي لا توجد ولا يمكن أن توجد ولا يكفي تصور الماهية لكي يثبت الوجود... مثال :– من يتخيل وجود جزر سعيدة في محيط فيه كل أنواع النعيم فيشد رحاله إليها ما دام قد تصورها وهنا واضح البطلان فالوجود شيء والماهية شيء آخر لان الماهية تصور ولا صلة له بالخارج إذا نظر إليه في ذاته.. فإذن التصور الأول مجرد إمكانية عقلية أما الوجود الواقعي فلا يثبت الا بالتجربة والمشاهدة ... ولا يتحول الفكر إلى الوجود إلا من خلال الفصل ولا تصير الامكانية واقعاً إلا من خلال الجهد.. مثال آخر : لا يمكن للرسام كما يدعي أحمق أنسلم أن يدعي ان لوحته موجودة بالفعل بمجرد وجودها في ذهنه قبل ان يرسمها أي أن فعل الفنان هو وسيلة تحقيق هذه اللوحة من الخيال الى لوحة موجودة بالفعل .. وهنا إذن القديس انسلم يوجه هذا الدليل الى المؤمن بوجود الله من قبل ويتصور أنه يحاول به إثبات وجود الله لمن لم يؤمن به بعد. والسؤال الآن : كيف رد القديس أنسلم على اعتراضات جونيلون نقول : رد القديس أنسلم على اعتراضات جونيلون فقال : حقاً أن ليس كل ما يمكن ان يتصور موجود بالفعل .. فليس الوجود عين الماهية في كل الاحوال ولكن الوجود عين الماهية في حالة واحدة وهي الله أو الكائن الذي لا يمكن أن يُتصور أكبر منه .. وهنا يدعو انسلم جونيلون إلى الإيمان بالله أولاً كي يعقل إيمانه ثانياً : وهو المنهج الأوغسطيني الذي ارتضاه انسلم لإقناع جونيلون وتحويله من الكفر إلى الإيمان ...

**د– <u>صفات الله عند القديس أنسلم :–</u>**

يبدأ القديس أنسلم في صفات الله بالتفرقة الواضحة بين نوعين من الوجود:

1. الوجود بالذات : وهو لله وحده وتكون فيه الماهية عين الوجود، والوجود عين الماهية ....

2. الموجود بالغير : فماهيته غير موجودة وإنما يمكن أن توجد الماهية أولاً ثم يضاف إليها الوجود بعد ذلك.

السؤال الآن : من الذي يضيف الوجود إلى الماهية بالنسبة إلى الموجود بغيره، وهنا يضع أنسلم افتراضين :- إما أن يكون الموجد علة فاعلية ... وإما أن يكون علة مادية : وهنا وفي هذه الحالة لابد من أن نقول قطعاً بوحدة الوجود ..

السؤال المهم : أننا هنا نلحظ أنسلم يحمل حملة عنيفة على مذهب سكوت أريجين الذي قال إن الله هو الكل ؟ بمعنى أن القديس أنسلم ينكر مسألة وحدة الوجود لماذا؟

الجواب : - فإذا كان الله قد صنع الأشياء من مادة سابقة فإن هذه المادة ستكون والله شيئاً واحداً هذا من ناحية ومن ناحية ثانية يلاحظ أنه إذا تغير هذا الموجود الأول فصار هذا الوجود الثاني ، فإن ذلك لا يمكن أن يتم إلا باضمحلال وانحلال في الوجود الأول ليكون الوجود الثاني ... وهذا غير جائز بالنسبة إلى الله .. ومن أجل هذا لابد من الرجوع إلى الفرض الأول والقول بالخلق من العدم، أي أن الله يأتي بوجود لم يكن موجوداً من قبل ... ومن هنا نفهم : أن الوجود الحقيقي هو الوجود بالذات أما الوجود الآخر فليس حقيقا بل هو وجود مستعار ... وإذا قورن الوجود بالغير بالوجود بالذات كان الوجود الأول عدماً عند أنسلم .. الوجود موجود بالفكر العالم الظاهري عن طريق الكلمة .. بعبارة آخرى أو بصيغة آخرى نقول: يرى القديس أنسلم بأن العالم وجد من قبل في إرادة الله وفي علم الله وذلك عن طريق الكلمة .. وهنا يقسم أنسلم الكلام إلى عدة أنواع هي :-

أ- الكلام الذي هو الفاظ تظهر في الخارج .

ب- الكلام الذي هو تصور للكلام وهو باطن

ت- الكلام الذي هو تصور حقائق الاشياء بالعقل فقط وهذا ما يسمى بالكلام النفسي،

وهنا ينبغي التنويه إلى أن البحث في كلام الله عند المسلمين مختلف عنه عند المسيحيين فإذا كان المسلمون من المتكلمين قد تناولوا مسألة الكلام وعّدوا صفة الكلام من صفات الله السمعية، وقالوا إن كلامه ليس ككلام البشر بل هو كلام نفسي، فإن هذا الكلام الذي يتحدثون عنه غير الكلام الذي يتحدث عنه المسيحيون، فالمقصود في علم الكلام من كلام الله، أنه الأوامر أو النواهي التي يلقيها الله لقاء نفسياً إلى من يختاره الله ... بينما نجد الكلام عند المسيحيين هو علم الله بالإيجاد وإرادته لهذا الإيجاد ، وليس متصلاً بأوامره أو نواهيه... يقول القديس أنسلم بوجود التفرقة بين الصفات التي تضاف إلى الموجود بالذات، وتلك التي تضاف إلى الموجود بالغير .. ماذا نفهم من هذا.. أن صفات الموجود بالذات غير صفات الموجود بالغير ففي حالة الموجود بالغير تطلق هذه الصفات على طريق فعل الملك بينما يطلق على الإنسان فمعنى ذلك أن للإنسان صفة العدل ، أما بالنسبة غلى الله فيقال أن الله هو هو – للدلالة على الوجود باعتبار أن هذه الصفة وجودية وهذا هو الشرط الأول في صفات الله، والشرط الثاني : هو أن هذه الصفات مطلقة وليست بالنسبة إلى صفات الموجودات بل يقال مطلقاً وبذاتها .. فإذا لم يكن شيء ما من الأشياء موجوداً لكانت صفات الله مع

ذلك موجودة أيضاً ... والشرط الثالث : الا ينسب إلى الله إلا ما هو كمال، فإذا وُجد شيء أقل كمالاً من شيء آخر فلا ينبغي أن ينسب إلى الله الشيء الأول ، بل ينسب اليه الشيء الأخر فحسب..وإذا ما توافرت هذه الشروط الثلاثة في صفات الله وجدناها ترجع إلى صفات : الحياة .. العلم .. الحق .. العدل .. البقاء... الخير فيجب أن يكون الله باقياً لأنه كل شيء ولا يجري عليه الزمان بل هو أصل الزمان كما أن قدرة الله ليست محدودة بشيء بل توجد في كل مكان، والله موجود في كل جزء ... وهذه الصفات كلها عين الذات وليست صفات مستقلة عن الذات فجوهر الله إذن واحد وإن تعددت صفاته لماذا ؟ لان الوجود بالنسبة إلى الله كما ذكرنا هو الماهية وهذه الصفات هي الماهية والوجود وهذا يثبت بقاء الله فما دمنا وصفنا الماهية فقد وصفنا الوجود والوجود باقٍ ما بقيت الماهية ...وإذا انتقلنا للإنسان وجدنا القديس انسلم يتبع القديس أوغسطين في نظرته إلى الإنسان فيقول أنسلم : إن الانسان يتذكر ذاته ويعقل ذاته ويحب ذاته وهذه هي صورة الثالوث في الطبيعة الإنسانية فكأن الإنسان يحتوي على صورة الله.... أما المعرفة ... معرفة الانسان بذلك .. فتتم بالتعاون بين العقل والحس ويتم ذلك خصوصاً عن طريق نوع من الإشراق الذي تحدث عنه القديس أوغسطين...

- **المحاضرة السابعة : بطرس أبيلارد**

أ- **<u>: حيـــاته ودراسته :</u>**

شخصية فريدة وجريئة عرفت في العصور الوسطى الأوربية ، عرف بروح المغامرة الوثابة المكافحة الجريئة الثائرة الوجدان، عاشق هلويز ، أنتهى عشقه لها بمأساة دامية أصابت كليهما، وأختلف الناس في تقدير أعماله الفلسفية ، فمنهم من يرى فيه المفكر الحر الذي حمل على سلطة الكنيسة و الآباء الكبار وأشاد بالعقل وحده وأبان عن تناقض أقوال الكتب المقدسة وآباء الكنيسة حتى نظروا اليه أنه المبشر الأول بحرية الفكر ومن أقوى دعاتها، وفريق آخر منهم جيلسون مؤرخ الفلسفة في العصور الوسطى المشهور، يرفض هذا التصوير لموقف أبيلارد ، كان يراه خاضعاً للكنيسة وسلطانها والدين وآباء الكنيسة ورأى جيلسون هذا مبالغ فيه كثيراً ولا يعتمد فيه إلا على اقوال وردت في رسائل أبيلارد إلى حبيبته هلويزا ... والواضح أن اتجاه فكرة العام هو تحرير الفكر من سلطان النقل وتحكيم العقل في كل الأشياء...

**- ولادته : -**

ولد بطرس أبيلارد سنة 1079 في مدينة بلاتيوم ... باليه بالقرب من مدينة نانت ...

**- مؤلفاتـــــــــــــــه :- كتب في الفلسفة واللاهوت وهي : -**

1. في التوحيد والتثليث الإلهي .
2. اللاهوت المسيحي.
3. المدخل إلى اللاهوت.
4. مجموعة أقوال تحت عنوان " موجز اللاهوت المسيحي".
5. المنطق : ويحتوي على تعليقات أبيلارد على أرسطو .

**-دراسته : -**

درس أولاً دراسة أدبية ، لأن والده كان مولعاً بهذه الدراسة ولو أن والده أراد منها أن تكون مقدمة لدخوله في السلك العسكري إلا أن أبيلارد أتجه إلى الناحية العلمية ، وإن لازمته الروح العسكرية في الناحية العلمية ...

بدأ أبيلارد دراسته للمنطق، فدرس على يد أحد كبار المنطقين في ذلك الحين .. وهو جيوم دي شامبو .. وكان واقعياً متطرفاً ولم يرضى ذلك أبيلارد ، فحمل حملة عنيفة على أستاذه، حتى أضطر إلى مغادرته وأنشاء مدرسة مستقلة على الرغم من صغر سنه.. كان ذلك في ميلان ... وأستمر أبيلارد في مناظرته لـ جيوم دي جيوم شامبو وأراد أن تشتد هذه الخصومة، لأنه لما رأى نفسه قد أتجه اتجاها كلياً إلى المنطق رجع إلى أستاذه القديم ليأخذ عنه اللاهوت ولكنه لم يستطع أيضاً أن يستمر معه فاشتدت حملته عليه ونفر طلابه منه وأضطره أخيراً إلى أن يدخل في مناظرة معه كانت نتيجتها أن أنهزم الأستاذ ، ونتيجه هذه الهزيمة أن سقط جيوم دي شامبو في أعين الناس، وأحتل أبيلارد مكانته....

فأقام مدرسة في سانت جينيفيف أواه الطلاب من سائر أصقاع أوربا ... وحدثت بعد ذلك حادثه لم تكن لترفع من شأن أبيلارد – حادثة غرامه بهلويزا ... وكانت النتيجة سيئة سواء على سمعة أبيلارد أو على جسمه ودخل ابيلارد بعد ذلك أحد الأديرة ، ودخلت هلويزا ديراً آخر ..

وبعد أن خرج أبيلارد من الدير قامت بينه وبين القديس برنار مناظرة عنيفة حول المعتقدات الدينية التي أوردها أبيلارد في كتابه مقدمة إلى اللاهوت ... ولكن أبيلارد لم يرد على مناظرته، وأنتهت المناظرة بأن سلّم أبيلارد لخصمه كل التسليم ثم أرغمته مجامع سواسون وسانص على أحراق كتبه

بنفسه والرجوع إلى معتقداته، ... أضطر أبيلارد في النهاية إلى الخضوع تماماً للكنيسة ، وأنتهى أمره بالرجوع إلى الدير وبموته هنالك عام 1142.

* جيوم دي شامبو : أحد زعماء الحركة الفلسفية في فرنسا.. من أتباع المذهب الواقعي..

* وهو في التاسعة والثلاثين وقع في غرام فتاة تدعى هلويزة وكانت بنت أخ أو أخت أحد الكهان في كنيسة نوتردام ... وكانت العلاقة في البدء سرية إلى أن فاجأها الكاهن فافتضح أمرها ... فقرر ابيلارد الهرب معها سراً إلى موطنه حيث ولد لهما أبن سمي أسطرلاب ثم عاد على باريس وتزوج بهلويزة سراً، غير أن ابيلارد أمرها بأن تندرج في سلك الرهبانية في دير أرجنتي فلما علم بذلك عمها ظن ابيلارد يريد التملص من زواجه منها ، فوضع مؤمراة للإنتقام من أبيلارد وذلك بأن أتفق مع عصابة من القتلة فترصدوا لأبيلارد وهو نائم وقاموا بإيذائه جسدياً وهنالك قرر أبيلارد الاعتزال في دير سان دين بضواحي باريس حيث راح يكتب كتابه " في الوحدة والتثليث الإلهي " وقد كان لهذا الكتاب تأثير كبير حيث أثار عاصفة من الهجوم عليه أدت إلى أدانته في مجمع سواسون سنة 1121 فهرب إلى مكان قريب وبنى دير سماه البارقليط وهنا واصل التدريس أيضاً إلى أن أختاره رهبان دير جلداس في أقليم بريتاني رئيساً لهم ، وهنالك تنازل ابيلارد لهلويزة ولأخوتها الراهبات اللواتي طردن من أرجنتي .. عن دير البارقليط ولكن الفساد المنتشر بين رهبان سان جلداس حمل أبيلارد على تركهم وعند هذه السنة تنتهي ترجمة ابيلارد لحياته بقلمه وهي ترجمة ذاتية والموسومة بتاريخ مصاب وهذا الكتاب وقع بيد هلويزة فبدأت بينهما رسائل تعد من من أجمل ما عرفه تاريخ الأدب...

**- شخصية أبيلارد : -**

نشاهد أن أبيلارد شخصية عجيبة حقاً فقد كان ذهناً حاداً ذكياً، وكان مناظراً شديد الوطأة على خصومه ، قوياً، في سرد الحجج إلا أنه لم يكن رجلاً خالقاً فلم يصدر عنه مذهب معين، ولم يقيم مذهباً فلسفياً عاما... ومع ذلك نرى البعض يرتفعون به كل الارتفاع فيجعلونه أعظم شخصية في العصور الوسطى، ... من حيث إيمانه بالعقل دون أن يحسب حساباً للنقل ولا لمعتقدات الكنيسة ويقولون أنه كان سلفاً لكانت في مذهبه النقدي ونجد على العكس من هذا مؤرخين آخرين يقولون عنه أنه لم يكن غير منطقي متحذلق...

**- مـــــــذهب أبيلارد :-**

تنقسم أقوال أبيلارد إلى قسمين : قسم يتصل باللاهوت وقسم يتصل بالمنطق والفلسفة أما اللاهوت فأشهر ما كتب أبيلارد فيه كتاب كتاب ... مقدمة إلى اللاهوت وكتاب ... نعم ولا .. وهذا الكتاب عبارة عن جملة أقوال أتى بها أبيلارد نقلاً عن رجال الكنيسة وعن الآباء ... انقسمت

إلـى أقـوال مؤيـدة وآخـرى معارضـة .. فيمـا يتصـل بـبعض المسـائل الدينيـة إلا أن أبـيلارد لـم يـرد حـلاً لهـذه المسـائل بـل أراد إثبـات أن النقـل متنـاقض ويجـب إذن الرجـوع إلـى العقـل... وهـذا هـو رأي معارضـيه ومنكـري فضـله... وأمـا الفريـق الأخـر فيقـول أن أبـيلارد إنمـا ذكـر الأقـوال المؤيـدة والمعارضـة مـن أجـل التوفيـق بـين كـلاً النـوعين مـن الأقـوال ... ودليـل ذلـك أن القـديس تومـا لـم يفعـل أكثـر مـن هـذا، فكـان يـذكر دائمـاً الحجـج المعارضـة ويتلوهـا بـالحجج المؤيـدة ... ثـم يحـاول بعـد ذلـك أن يأتي بالجواب الصحيح وهنا نلحظ بوضوح النزعة العقلية لدى أبيلارد ...

ب- **<u>اللاهـوت عنـــــد أبـيلارد</u>** : كـان أبـيلارد يـؤمن بإلـه واحـد عـالم خيـر قـادر وكـان يرجـع الثـالوث إلـى الوحـدة فيقـول أن ثمـة أقنـوم واحـداً متصـفاً بـثلاث صـفات هـي : القـدرة والعلـم والخيـر ... والقـدرة لا تـأتي إلا عـن طريـق العلـم والخيـر وتبعـاً لنزعتـه فـي الكليـات نـراه قـد أحـال الصـفات الوجوديـة إلـى صـفات نفسـية وأرجـع الأقنـوم إلـى الشخصـية ويلاحـظ أن ابـيلارد قـد تـأثر بـ الشـارتريين : - فقـال بـأن روح العـالم هـي أيضـاً الـروح القـدس ... فتـأثر إذن بمـا تـأثر بـه الشـارتريين مذهب أفلاطون ....

**<u>- التعريف ببعض مصطلحات المحاضرة : -</u>**

* **وحـــدة الوجـــود** : مـذهب فلسـفي يقـول أن الله والطبيعـة حقيقـة واحـدة، وأن الله هـو الوجـود الحـق، ويعتبـرون أن الله صـورة هـذا العـالم المخلـوق أمـا مجمـوع الظـواهر الماديـة فهـي تعلـن عـن وجـود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته، الله قد خلق العالم من مادة سابقة الله والمادة شيء واحد .

* مدرسـة الشـارتريين : اختلـف المؤرخـون فـي بيـان الصـفة التـي يجـب أن تحـدد مـذهب رجـال هـذه المدرسـة ... ولكـن هـذه الصـفة ترجـع فـي النهايـة إلـى صـفة القـول بوحـدة الوجـود ... وأن الشـارتريين كـانوا علـى الطـرف بـين أصـحاب مـذهب وحـدة الوجـود وبـين القـائلين بإلـه واحـد مسـتقل عـن العـالم وأشهر رجال هذه المدرسة هو تيري دو شارتر...

* الفلسـفة التـي نشـأت فـي العصـور الوسـطى تسـمى بالمدرسـية لأنهـا تـدل علـى الفلسـفة التـي كانـت تـدرس فـي المـدارس فـي العصـور الوسـطى، ومـن هنـا لفـظ مدرسـي يطلـق علـى كـل مـن يـدرس فـي

المدارس في العصور الوسطى أو على من حصل جميع المعارف التي كانت تدرس في المدارس في تلك العصور ... كلمة الفلسفة المدرسية تطلق على الفلسفة التي كانت تدرس في هذه المدارس ولكن هناك من يجعلون الفلسفة المدرسية تمتد إلى الآن فلا تنتهي بانتهاء القرن الخامس عشر ...

**ج – مشكلة الكليات :**

أي المعاني والتصورات الكلية

* أصحاب النزعة الأفلاطونية : ان الكليات وجوداً واقعياً أسمى من الوجود الذي للأفراد ، فالإنسان الكلي موجوداً واقعياً وهو أحق في الوجود من زيد وعمر وووو.....

* أصحاب النزعة الأرسطية : يرون أن الوجود الحق هو الوجود الفردي أما الكلي فلا وجود واقعياً له، سمي الأولون باسم الواقعيين والأخير باسم الأسميين ...

والمشكلة قد تبدو لأول وهلة بسيطة ولكن نتائجها فيما بعد من الأقوال الفلسفية الخطيرة ....

* معنى الكليات :

1. الكلي العام ( الجنس)
2. يندرج تحت كلي أعم منه النوع ..... كالإنسان

الجنس ..... كالحيوان

الفصل ..... كالإنسان الناطق

3. الكلي الذي يضم الشيء وغيره وهي صفة حادثة قد تتعلق بالشيء أو لا تتعلق نطلق عليه أسم العرض العام.
4. الكلي الذي يخص بعض أفراد النوع الواحد دون البعض الأخر يسمى الخاص.

**– التعريف ببعض مصطلحات المحاضرة : –**

* افلاطون : الواقعيين الذين يجعلون للماهيات وجوداً في الخارج

* أرسطو : الأسميين الذين يقولون أن الوجدو الحقيقي هو وجود الأفراد أما الأجناس والأنواع فوجودها ذهني....

* فورفوريوس الصوري : فيلسوف يوناني :اسمه الحقيقي ملكوس السوري فيلسوف سوري الأصل من بلدة صور أحد مؤسسي الأفلاطونية المحدثة واليه يرجع جمع محاضرات افلوطين ونشرها .... وبعض من فلسفة أرسطو ...

**– مشكلة الكليات في القرون الثلاثة الأولى من العصور الوسطى من القرن التاسع عشر إلى القرن الحادي عشر : –**

أثارت مشكلة الكليات الكثير من البحث منذ البداية في العصور الوسطى واستمرت حتى آخر هذه العصور خصوصاً عند وليم أوف كام وأول من وضع المشكلة في صوره ساذجة هو فرفريوس الصوري في " إيساغوجي" " أو المدخل إلى مقولات أرسطو ... فعرف اللاتينيون ذلك عن طريق ترجمة بوثيوس الإيساغوجي ... وتنقسم المشكلة إلى ثلاثة أقسام ..

أ. هل للكليات : أي الأجناس والأنواع ، وجود في الخارج ؟ أم أن وجودها في الذهن فحسب ؟

ب. إذا كان لها وجود في الخارج ، فهل هذا الوجود مادي أو غير مادي .

ت. إذا كانت توجد في الخارج ، فعلى أي نحو يكون هذا الوجود؟ هل توجد وحدها ؟ أم توجد متصلة بالأشياء ؟

**<u>– الموقف من المشكلة : –</u>**

كان طبيعياً أن يكون الموقف الذي يقفه الإنسان أزاء كل سؤال لا يخرج عن أحد المذهبين الفلسفيين اللذين تركتهما العصور القديمة وأعنى بها مذهب أفلاطون ومذهب أرسطو فالذين يقولون بوجود خارجي للكليات هم أنصار أفلاطون ، إذ الأفراد عنده لها وجود أقل مرتبة من وجود الكليات التي توجد في الخارج في حين أن أرسطو يذهب إلى القول بأن الكليات ليست إلا أسماء أي تجريدات ذهنية وإنما الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد الداخلة تحت الأنواع والأجناس.

**<u>– نوع المشكلة : –</u>**

المشكلة ليست مشكلة منطقية نحوية كما قال فورفوريوس الصوري دون أن يحاول الإجابة عن سؤال من الأسئلة التي ذكرت إنما أيضاً مشكلة ميتافيزيقية لأنها ترتبط بالوجود من حيث ترتيب الموجودات ومع نهاية القرن الحادي عشر وضعت المشكلة في وضعها الحقيقي : أحدهما موقف الواقعيين الذين يجعلون للماهيات وجوداً في الخارج والأخر هو موقف الأسميين الذين يقولون أن الوجود الحقيقي هو وجود الأفراد أما الأجناس والأنواع فوجودها ذهني ونجد أن الموقف الذي يقفه كل فيلسوف من هذه المشكلة سيتأثر بالمذهب الذي تأثر به الفيلسوف فإنه تأثر بأفلاطون الواقعيين وإن تأثر بأرسطو أتخذ موقف الأسميين ...

**<u>– مشكلة الكليات وموقف ابيلارد منها : –</u>**

أراد ابـيلارد أن يوفـق فـي مشـكلة الكليـات بـين الـواقعيين واللفظيـين أو علـى حـد تعبيـره بـين أفلاطـون وأرسـطو... يقـول ابـيلارد إن الكليـات تطلـق علـى أفـراد كثيـرين فـلا يمكـن اذن أن تكـون كلمـات أو أشـياء لان الشـيء لا يطلـق علـى الشـيء وإلا لأمكـن أن يوجـد الشـيء الواحـد فـي امـاكن متعـددة ... كـأن يكـون الشـخص فـي مكـانيين فـي آن واحـد.... تلـك هـي الحجـة الكبـرى التـي يسـوقها ابـيلارد ضـد الاسـميين أو اللفظيـين ... فـالكلي عنـد ابـيلارد هـو القضـية والفـظ يكـون كليـاً باعتبـاره جـزءاً مـن قضـية وبهـذا المعنـى وحـده يمكـن أن يقـال : أن اللفـظ يصـح ان يكـون كليـاً.... معنـى هـذا ... أنـه لا يمكـن للكليـات أن تكـون أصـواتاً وإنمـا تكـون للفـظ صـفته الكليـة حينمـا يكـون موجـوداً فـي داخـل قضـية ... ولا يسـتطيع الإنسـان بعـد ذلـك أن يقـول انـه لمـا كـان اللفـظ فـي داخـل قضـية فإنـه يكـون هـو ايضـاً الكلـي مادامـت القضـية تعبـر عـن الكلـي ... فلـو قلنـا ذلـك فـإن معنـاه أن الحـرف ايضا كلي لأنه يدخل في تركيب الكلمات ...

ولكـن السـؤال : علـى أي نحـو تكـون هـذه الكلمـات باعتبارهـا قضـايا ؟ يقصـد بالقضـايا باعتبارهـا اقـوالاً الـربط بـين شـيء وشـيء آخـر فالكليـات روابـط اذن ... إلا أن هـذه الـروابط ليسـت لفظيـة ... فـإذا قلنـا مـثلاً إن وجـد الانسـان وجـد الحيـوان ... فـإن هـذه القضـية ليسـت منطقيـة ، وإنمـا هـذه روابـط تعبـر عـن حقـائق وجوديـة تتكشـف لنـا عـن طريـق الطبيعـة الخارجيـة فهـي اذن روابـط حقيقيـة فـيلاحظ ضـد الاسـميين اولا ان الـروابط ليسـت ذهنيـة فقـط بـل وجوديـة كـذلك، أي أن لهـا وجـوداً حقيقيـاً فـي الخـارج إلى جانب وجودها الذهني ويلاحظ ضد الواقعيين ثانياً قوله ان الكليات هي روابط ...

وخلاصـة توفيـق ابـيلارد بـين ( الأسـميين والـواقعين ) قولـه إن الكليـات سـابقة علـى الأشـياء باعتبارهـا روابـط حقيقيـة موجـودة فـي ذهـن الله منـذ الأزل وتشـاركها الـروابط الموجـودة فـي الوجـود الخـارجي عـن طريـق المشـاركة الافلاطونيـة هـذا مـن ناحيـة ومـن ناحيـة آخـرى فـإن هـذه الكليـات موجـودة بالفعـل فـي الجزئيات وليست تدرك الا باعتبارها افراداً جزئية سواء عن طريق الحس وعن طريق العقل ...

**<u>– الأخلاق عند ابيلارد :</u>** –

مـذهب ابـيلارد فـي الأخـلاق قـائم علـى النيـة ، قولـه ان النيـة أصـل العمـل وبهـا وحـدها يجـب ان يقـوم العمـل ويجـب الا تفهـم النيـة علـى انهـا مـا يخيـل للإنسـان انـه صـحيح ، بـل هـي مـا يعتقـد الانسـان أنـه مطابق للواقع ...

**<u>– أهميـة ابـيلارد</u>** : – اهميتـه الكبـرى تكمـن فـي أنـه كـان عقليـة دقيقـة ولـو لـم تكـن جبـارة، وأنـه كـان مبشـراً بحريـة العقـل فـي العصـور الوسـطى ، وأنـه أثـر تـاثيراً كبيـراً فـي أحيـاء الدراسـات القديمـة لأنـه تـاثر بالكتـاب الأقـدمين أمثـال شيشـرون وفرجيـل وفضـلاً عـن أفلاطـون وارسـطو ... ولـذلك نـرى أن ابـيلارد أكثـر مـا يكـون شـبهاً مـن حيـث الثقافـة برجـال عصـر النهضـة منـه برجـال العصـور

الوسطى كما كان ابيلارد استاذا ممتازاً اثر في كل من تتلمذ على يده وهو أول من عمل على اقامة جامعة باريس ولهذا ليس من الغريب أن يلقب بطرس ابيلارد .... بالمبشر بنزعة التنوير في العصر الحديث .

- **المحاضرة الثامنة : البرت الأكبر**

**أ- حياته ومؤلفاته**

**ب- مذهبه**

أولاً : حياته :-

فيلسوف لاهوتي كبير ، كان أستاذاً للقديس توما الأكويني لا يُعرف تاريخ ولادته بدقه ، أما وفاته فكانت في كولونيا في 15 نوفمبر 1280، وتراجم حياته ترجع الى الربع الأخير من القرن الخامس عشر وهذه التراجم تختلف في تحديد عمره البعض يجعله يعيش 87 سنه، وسنة حينما أنضم الى طريقة الدومينكان، البعض يقول سنة 16، والشيء المؤكد هو أنه ولد في مدينة لونجن على نهر الدانوب في جنوب المانيا وأنه أرتحل في شبابه المبكر إلى ايطاليا ودرس في جامعة بادوفا حيث درس مبادئ فلسفة أرسطو وقد أستطاع رئيس الطريقة الدومنكية أن يضمه إلى طريقه في سنة 1223 أو سنة 1229 وبعث به إلى كولونيا لدراسة اللاهوت وطلباً لمزيد من الدراسة أرتحل إلى باريس وفيها ألقى محاضراته بوصفه حاصل إلى الإجازة عن كتاب الأقوال بالتدريس في المعهد العام الذي نشأ حديثاً في كولونيا للتأهيل " الرهبان الدومنيكان" وهنا تتلمذ على يده القديس توما الأكويني وفي سنة 1254- 1257 كان مرشداً إقليمياً لإقليم توتوبيا وبعدها أصبح أسقفاً وشارك في السنوات التالية في عدة مجامع خاصة بطريقة الدومنيكان كما قام ببعض المهام التي كلفه بها البابا أربان الرابع ومنها الدعوة الى الحروب الصليبية وتوفي كما قلنا في نوفمبر سنة 1280، وبعد وفاته منحه البابا بيوس الحادي عشر لقب قديس وعالم من علماء الكنيسة وفي سنة 1941 منحه البابا بيوس الثاني عشر لقب حامي العلماء....

**<u>ثانياً: مؤلفاته :</u>** - كان البرت الأكبر غزير الإنتاج جداً ومؤلفاته وأن كان بعضها ناقصاً أو دون مراجعة وتنقيح – تشتمل كل فروع المعرفة في عصره لهذا لقب العالم المحيط وكانت نتاجاته كالاتي : -

- أول إنتاجه هو رسالة في طبيعة الخير وهي رسالة غير تامة .
- يتلو ذلك رسائل صغيرة عن مسائل في العقيدة المسيحية .
- ثم شرح على كتاب الأقوال لبطرس اللمباردي هو ثمرة محاضراته بباريس وألقى محاضرات عن كتاب الأخلاق إلى نيقوماخوس لأرسطو حضرها القديس توما الأكويني.

- ومن هنا ثم البدء في تلخيص مؤلفات أرسطو الصحيحة وبعض المخولة وقد بدأ بكتاب الطبيعة وتلاه كتاب الفساد والسماء والعالم وطبيعة الأماكن وهذان الملخصان الأخيران يوجد منهما نسخة بخط البرت نفسه و الآثار العلوية والنفس والتغذية والحس والمحسوس.

- وفي سنة 1258 ألف كتابه مسائل في الحيوان وفي نفس الوقت بدأ كتابة كتابه الضخم في الحيوان وهو تلخيص وافٍ وموسع لكتب أرسطو الثلاثة في الحيوان.

- كذلك لخص كتب أرسطو المنطقية مبتدئاً بكتاب الكليات الخمس المنسوب الى فورفوريوس اوبوتيوس ...

- ومن مؤلفاته الخاصة كتاب " وحدة العقل ضد الرشدين " وفيه يدافع عن القول بتعدد النفوس الفردية ....

**ب- <u>مذهبه : -</u>**

العقل والنقل : في مسألة الصلة بين العقل والنقل يمثل البرت تقدماً ظاهراً في أسلافه إذ هدف إلى تحديد ميدان كليهما تحديداً واضحاً وجعل أنواعاً من الحقائق تنسب الى الواحد لا تنسب إلى الأخر وفي هذا يقول:

فيما يتعلق بالدين والأخلاق إذا أختلف أوغسطين مع الفلاسفة فينبغي تصديق الأول دون الأخرين لكن إذا تعلق الأمر بالفيزياء فإنني أصدق أرسطو لأنه كان يعرف الطبيعة خير معرفة ومع ذلك فإنه لم يطبق هذا المنهج بدقه ، بل كان يضطر إلى الأخذ بما يقوله النقل حيث يتعارض مع العقل فيقول مثلاً بالخلق من العدم لا بفكرة الصدور التي قال بها أبن سينا وكأن العالم له بداية في الزمان ولا يقول بقدم العالم كما قال أرسطو وشراحه والفلاسفة المسلمون ...لكنه حاول مع ذلك إيجاد مزيج من المسيحية والأفلاطونية المحدثة على نحو قريب مما فعله أبن سينا ...إذ نجده يتحدث عن العلة الأولى وإنها نور أول ويهب الصور للمادة إنها حياة ونور لأنها نوع من الحياة لكل موجود وهي النور لكل معرفة والعقل لكل شيء والعقل الإلهي يحتوي على الصورة الأولى والله يهب الهيولى صوراً متمايزة ليست إلا صور الكليات الإلهية وإشعاعات نور العقل الفعال الكلي الذي هو الله تسري في الهيولى حيث توجد الجواهر العينية ويقرر أن لكل نفس عقلاً كالقوة وعقلاً بالفعل خاصين بها وذلك لان النفس الإنسانية ليست مجرد صورة الجسم بل هي جوهر روحي ولهذا الجوهر قواه المستقلة الخاصة به والضرورية كي يؤدي مهامه ويربط البرت الأكبر بين النفس الإنسانية والله ....إذ هي صوره له ولهذا فهي مفتوحة لقبول الإشراقات الإلهية وهي بمعرفتها للمعقولات تتشبه بالله.

- **المحاضرة التاسعة: القديس توما الأكويني**

أ- **<u>حيـــاته وولادته:</u>**

ولد القديس توما الأكويني في أواخر سنه 1224 وأوائل سنة 1225 في مدينة روكاسيكا بالقرب من مدينة نابولي والتحق بالخدمة الدينية في سنة 1230 ثم درس في الجامعة في سنة 1239 في إيطاليا والتحق بطريقة الدومينيكان سنة 1244 وفي سنة 1248 التحق بجامعة باريس حيث تلقى دروسه على يد البير الكبير ثم حصل على إجازة اللاهوت سنة 1256 وبعد الخصومة التي أثيرت حول السماح للرهبان بالتدريس في جامعة باريس سمح لتوما بحمل إجازة التدريس ولكنه عاد بعد ذلك إلى إيطاليا سنة 1259 وأستمر في جامعاتها في روما وفتربو وأرفيتو حتى توفي سنة 1276 .

**<u>– أهم مؤلفات توما الاكويني : –</u>**

أهم مؤلفاته في عهد الشباب وأشهرها الشرح على كتاب الأقوال ثم كتاب الوجود والماهية ولكن مؤلفاته الرئيسية التي الفها تنقسم إلى ثلاثة أنواع : الشروح، والخلاصات ، والمسائل. أما الشروح فأشهرها الشروح التي كتبها على مؤلفات أرسطو بأكملها ، وفيها نجد توما شاعراً بطريقة ، يعرف إلى أين يذهب، وما الغرض من تفسيره، وهنا يلاحظ أو هذا ما يقوله جلسون – أن من الواجب أن نحتاط ونحن نقدر هذه التفاسير ، ذلك أنه يجب أن لا يظن أن توما الاكويني في تفسيره للنص بحسب هواه ، لم يكن شاعراً بأنه يفعل ذلك قصداً وإنما الواقع أنه فعل ذلك متعمداً ومن أجل تحقيق غرض رئيسي هو تكييف فلسفة أرسطو لكي تتفق والعقيدة المسيحية ، كما يجب أن يلاحظ أننا إذا رأيناه يفسر أرسطو تفسيراً مخالف لحقيقته النص فليس معنى ذلك أنه قد أخطأ فهم أرسطو في نصوصه، وإنما الواقع أنه قد فعل ذلك متعمداً وتحقيقاً لغرض في نفسه، وهذه الشروح تكاد أن تعبر عن المذهب التوماوي الفلسفي الصرف حتى أن بعضاً من الكتاب الذين دعوا إلى إقامة الفلسفة المدرسة الجديدة قالوا أن من الواجب أن يبحث عن هذه الفلسفة لا في الخلاصات اللاهوتية التي كتبها توما بل في شروحه على كتب أرسطو.

وأما شروحه على كتاب الاقوال فهي شروح قد كتبها في دور متقدم مما يدل على أنه لم يكن يعرف بعد مذهبه الحقيقي ولكنها شروح تبين لنا كيفية تكوين فكر توما وفيها نرى أنه لا يزال متأثراً بالتقاليد الاغسطينية إذا لم يكن توما ارسطالياً صرفاً في كل شي، بل فيما يتصل بصلة الله بالكون وبالغاية النهائية لكل الأشياء تدخل العنصر الاغسطيني الافلاطوني فأثر فيه الى حد كبير، والقسم الثاني من مؤلفات توما هو أهم الأقسام ويعني به الخلاصات وله خلاصتان رئيسيتان : الخلاصة اللاهوتية وفيها يعرض بكل وضوح العقيدة الدينية مؤيدة بالبراهين العقلية الا انه في هذه الخلاصة اللاهوتية لم يعرض للفلسفة الصرفة إلا باعتبارها ملحقة بالعقيدة الدينية وأهم ما في هذه الخلاصة الكتابان الأول والثاني المتعلقان بالله والإنسان لكن هذه الخلاصة اللاهوتية هي على كل حال أحسن مقدمة يستطيع الإنسان أن يبدأ منها للدخول في فلسفة توما والخلاصة

الآخرى هي ضد الكفار أو الوثنيين وفي هذه الخلاصة كان توما الاكويني اقرب إلى الناحية الفلسفية لأنه عني بعرض المذاهب الفلسفية والمبادئ الاساسية في الفلسفة بكل فروعها عرضاً منطقياً عقلياً صرفاً ومن هنا عني عناية كبيرة بحشد البراهين المنطقية وسردها بطريقة مفصلة ودعمها بكل الأسس العقلية التي تخضع لها ومع ذلك لا نستطيع أن نجد في هذه الخلاصة نفسها ما يمكن أن يسمى عرضاً عاماً لمذهب فلسفي متصل الأجزاء، والنوع الثالث من كتب توما أقل أهمية من النوعين السابقين وهو المسائل وفيها يعرض المسائل جزئية ويدخل في هذا الدليل أيضاً ما يسمونه في العصور الوسطى Quodli beta وهذا النوع من العرض للمسائل بطريقه عامة.

ب- **<u>العقـــل والنقـــل :</u>**

يبدأ توما بحثه الفلسفي ببيان الصلة بين العقل وبين النقل فيبدأ أولاً بتحديد موضوع الفلسفة العامة أو الميتافيزيقا ، أي الحكمة وكله بمعنى واحد فلنطلق عليها أسم الحكمة ولنبحث في موضوعها والغاية منها... أما موضوع الحكمة فهو ترتيب الاشياء من أجل سياستها سياسة صالحة فيجب أولاً أن يرتب الإنسان الاشياء بعضها بالنسبة لبعض حتى تبدو المسائل أولاً وبجلاء ويليها في المرتبة ما هو تابع لها... وهذا يهيئ للإنسان القدرة على الهيمنة هيمنة صالحة على الأشياء فمثلاً علم الطب في صلة بعلم الصيدلة نجد أن علم الصيدلة هو وسيلة يحقق بها علم الطب مقصوده، وبالتالي فإن علم الطب هو الذي يحكم على الصيدلة فمن هنا يتبين أن العلوم تترتب فيما بينها وبين بعض حسب الأهم حتى نصل إلى أعلى درجة ولكن كل حكمة في كل باب من العلم هي حكمة جزئية لأنها تعنى بناحية خاصة من نواح الكون... وهذا يدفعنا إلى البحث عن حكمة آخرى تشمل الكون كله ويكون موضوعها هذا الوجود كله فنجد أن هذه الحكمة العامة هي التي تبحث في الله من حيث ترتيب الاشياء بالنسبة اليه، ومن حيث كونه خالقاً لها، ولما كان الله هو العلة الأولى وعلة العلل ، فيمكن أن يكون تعريف الحكمة هو تعريف أرسطو لما بعد الطبيعة أو الميتافيزيقي أي الفلسفة الأولى وهو أنها علم العلل الأولى أو المبادئ الأولى وهي كلها ترجع إلى علة واحدة هي الله وهو الحقيقة والغاية في الكون.

**- ما هو الطريق المؤدي إلى تحصيل هذه الحكمة ؟:**

نجد أولاً أن لدينا العقل ، فالعقل يبدو أولاً وقبل كل شيء أنه المؤدي إلى تحقيق هذه الغاية أعني موضوع الحكمة فالعقل نظرياً هو كذلك ولكن إذا نظرنا في الواقع إلى ما فعله العقل وحده وجدنا في الحال أن العقل بمفرده لا يستطيع أن يبلغ كل الحقائق الدينية وإنما يجب أن يأتي بعد ذلك الوحي أو النقل فيضاف إلى العقل من اجل الحقائق الاخرى التي هي خارجة عن نطاق العقل... وللبرهنة على هذا من الناحية الفلسفية يقول الاكويني : يجب أن نلجأ إلى نظرية المعرفة عند أرسطو فأسطو يقول: إن تحديد صفات الشيء وكل ما يلزم عنه إنما يأتي تبعاً لتحديدنا لماهيته ، فالبقدر الذي نعرف به ماهية الشيء وبهذا القدر تكون معرفتنا لخواصه وصفاته التي

تلـزم عنـه.. وموضـوع الحكمـة كمـا رأينـا هـو الله والله روح صـرف بينمـا العقـل الإنسـاني مركـب مـن صـورة وهيـولى وهـو بالتـالي لا يسـتطيع أن يـدرك الاشـياء الا ابتـدأ مـن المحسـوس وبمـا أن الحـس لا يسـتطيع ان يـدرك ماهيـة المعقـول المحـض إنمـا هـو فقـط يقـول بوجـوده فيرتفـع الانسـان بواسـطة الحـس مـن أثـر المعقـول إلـى إثبـات وجـوده ولكنـه لا يسـتطيع عـن طريـق الحـس بمفـرده ان يصـل إلـى ماهيـة المعقـول وتبعـاً لهـذا يجـب أن نجعـل للعقـل ميـدان خـاص بـه لا يسـتطيع ان يعلـو عليـه، لأن طبيعتـه الخاصـة مركبـة مـن صـوره وهيـولى تحـول دون أن يبلـغ هـذه المرتبـة ولهـذا يجـب أن يلجـأ إلـى النقـل أو الـوحي ليكمـل هـذا الـنقص ويـتم مـا بـدأه .. وهـذا يتطلـب منـا أن نحـدد الميـدان الحقيقـي لكـل مـن العقل والنقل ... فيلاحظ ..

1. أنــه نظريــاً العقــل لا يخــتلط موضــوعه بموضــوع النقــل وعلــى حــد تعبيــر تومــا الاكويني الحقيقة الواحده لا تقبل مصدرين للمعرفة : العقل والنقل ...

2. عمليــاً : العقــل وحــده لا يســتطيع ان يســتقل بموضــوعه، فإنــه لابــد أن يــأتي النقــل ولا ضـير علـى العقـل أولاً لأنـه يلاحـظ مـن اخـتلاف المـذاهب أن العقـل وحـده لا يكفـي لبلـوغ الحقيقـة الصـرفة كمـا يلاحـظ أن حقيقـة البـراهين ومعناهـا الحقيقـي لـه المـرء مـن أجـل أدراك الحقيقـة المنطقيـة مـن البـراهين ولهـذا كـان لابـد ان يضـاف الـى العقـل النقـل مـن أجـل هـذا التحقيـق لكـل مضـمون الحقائق الخاصة بالإنسان..

3. النقـل : نـرى أن النقـل قـد اخـتص لنفسـه اشـياء معينـة فـي داخلهـا وحـدها يجـب أن يجـول ولا ضـير عليـه بعـد ذلـك أن يـأتي العقـل فيحـدد مضـمونه بوضـوح لان الإيمـان أقـل أنـواع المعرفـة درجـه فـي الوضـوح وذلـك لأنـه فـي حالـة المعرفـة الإيمانيـة لا يـدرك الانسـان بوضـوح المعنـى العقلـي للحقيقـة الايمانيـة وعلـى العكـس مـن ذلـك فـي حالـة اليقـين العقلـي نجـد التفكيـر واضـحاً يقينـاً وشـعوراً بـه....وعـن هـذا الطريـق حـاول تومـا الاكـويني أن يوفـق بـين العقـل والنقـل عمليـاً وبعـد هـذا التوفيـق بـين العقـل والنقـل يبـدأ تومـا الاكـويني بالفصـل بـين الاثنـين مـن ناحيـة المـنهج ومـن ناحيـة الترتيب فيقول : أن للعقل ميداناً وللنقل ميداناً آخر.

فمــن ناحيــة المــنهج يســبق العقــل مبادئــه ممــا غــرس فيــه مــن مبــادئ عقليــة ولا يهيــب إلا بسلطان العقل وعلى العكس نجد في النقل أنه يلجأ الى طرق ثلاثة :

1. ما أتى به الوحي مسجلاً في الكتب المقدسة .
2. إلى كل ما يتفق وكمال الله.

3. الى كل ما يتفق مع قدرة الله المطلقة ، كذلك يختلف العقل عن النقل من حيث الترتيب فالعقل يبدأ دائماً من المحسوس لكي يرتفع منه الى المعقول و بالعكس يبدأ النقل من الله لكي يصل إلى المحسوس وطريقه هو الطريق الأوفق لأن الله يدرك الأشياء بإدراكه لذاته ... وهكذا نستطيع أن يحدد موقف توما فيما يتعلق بهذه المشكلة بالقول : أن الاكويني لا يخلط بين العقل والنقل ولا يميز بينهما ولا يفصل بينهما فصلاً تاماً.

**ج- <u>براهين وجود الله :-</u>**

براهين وجود الله عند توما الاكويني براهين ضرورية منطقية يجب أن يعنى بها الفيلسوف اللاهوتي بعرضها بالتفصيل لان وجود الله ليس واضحاً بذاته فهو يعارض أولئك الذين يذهبون إلى أن وجود الله فطري في الإنسان إذ يعتقد أنها فكرة باطلة فليس وجود الله فطرياً بل أننا نستدل على وجوده من مجموعة المبادئ العقلية وهو لهذا السبب عكف على إثبات وجود الله بمجموعة من البراهين التي رآها منطقية وضرورية وقدم لأجلها خمسة براهين كانت كلها شائعة في الفلسفة الاسلامية من قبل عند الكندي أو الفارابي أو ابن سينا .. ولا شك أن القديس توما قد استفاد كثيراً من المفاهيم التي كانت شائعة ومعروفه عند المسائيين ... ويمكن تلخيص براهينه بالآتي :

1. **<u>البرهان الأول :</u>** برهان المحرك الأول : يقوم على فكرة الحركة وقد عرضه في كتابه الضخم " الخلاصة اللاهوتية" يرى أن الحركة في العالم ما دمنا نشاهد بحواسنا تحرك الكثير من الأشياء لكن لما كانت الحركة تعني انتقال الموجود من حالة القوة الى حالة الفعل ولما كان هذا الانتقال يستدعي وجود موجود يكون هو نفسه في حالة فعل فإنه لابد للمتحرك إذن من محرك ولما كان المحرك نفسه في حالة مركبة فإنه لابد من افتراض محرك آخر يكون هو مبعث حركته ... ولكننا لا نستطيع أن نستمر هكذا على ما لانهاية منتقلين دائماً ابداً من محرك إلى آخر ، وإنما لابد لنا أن نتوقف عند محرك لا يتحرك وهذا المحرك الأول إنما هو الله وواضح أن هذا البرهان مستمد حرفياً عن أرسطو الذي عرضه في المقالة الثانية من كتابه " السماع الطبيعي"
2. **<u>البرهان الثاني :</u>** برهان العلية : يقدمه توما على أساس العلية أن كل أثر يستلزم مؤثراً وهناك تأثير متبادل بين الأشياء بعضها مع بعض من ناحية ومن ناحية آخرى على أساس امتناع التسلسل إلى ما نهاية بل لابد من الوقوف عند علة أولى وهي الله ويلاحظ على هذا البرهان أولاً أنه يشابه تمام الشبه برهان الحركة من حيث ان برهان الحركة يشاهد حركة فيبحث في علتها والبرهان الثاني يشاهد وجود فيبحث في علته ... فطابع العلية موجود في كلاً البرهانين الأول برهان عليه حركية والثاني برهان عليه وجود ويلاحظ كذلك على هذا البرهان أنه يقوم على أساس تصور العلل مرتبة ترتيباً تصاعدياً بعضها بالنسبة إلى بعض ترتيباً عمودياً لا ترتيباً أفقياً ومن هنا فإن هذا البرهان القائم على الحركة يصح أيضاً مع قولنا بأبدية الحركة وأزليتها ذلك لأن الابدية والأزلية أفقيان ولكن من حيث التعامد والتصاعد لابد من الوقوف عند حد معين يكون حداً أول

... والخلاصة أن كل برهان من هذين البرهانين يقوم دائماً على فكرة أن كل مرتب مرتب ترتيباً جوهرياً لابد أن يكون مرتباً ترتيباً تصاعدياً...

3. **البرهان الثالث:** أو برهان الممكن والواجب : خلاصته أن هناك أشياء ممكنة وكل ما هو ممكن يلاحظ أنه يمكن أن يكون ويمكن أن لا يكون هذا من ناحية ومن ناحية آخرى فإن ما هو ممكن لا يستمد وجوده من ذاته بل من غيره ... ولكن إذا اضفنا إلى هذين الشرطين مبدأ عدم إمكان التسلسل إلى غير نهاية وجب القول بوجود واجب وجوده من ذاته فلابد من الوقوف إذن عند واجب يكون واجباً لذاته، وهذا هو الله.

4. **البرهان الرابع:** برهان التدرج في الكمال : يقوم على أساس مشاهدتنا في الوجود لمراتب في الكمال ففي " الخلاصة ضد الكفار " يسوق توما هذا البرهان على النحو التالي: نحن نقول عن قضية أنها صادقة وآخرى أنها كاذبة وثالثة أنها محتملة فنقول إذن بدرجات للحقيقة أعني أن هناك شيء أحق من آخر ولكن الأحق والمحقوق لا يمكن أن يقال إلا بالنسبة إلى حق مطلق بمشاركتهما فيه تكون لهما درجة الحق فإذا كنا نجد بالضرورة في الوجود أحق ومحقوقاً فلابد من القول بوجود حق مطلق كما بين أرسطو ذلك فيما بعد الطبيعة يشمل الوجود المطلق فالحق المطلق يقتضي بالضرورة الوجود المطلق فهناك إذن موجود مطلق هو الله ... وفي الخلاصة اللاهوتية يعرض توما نفس البرهان على أساس فكرة الخير والشر والنبل والحق فنحن نجد أن هناك شيئاً أنبل من شيء ولكن النبل الحسي لا يوجد لا بالمشاركة في خير مطلق ونبل مطلق فلابد إذن بخير مطلق ونبل مطلق والخير المطلق والنبل المطلق هما الحق المطلق والحق المطلق يقتضي الوجود المطلق والوجود المطلق هو الله..

5. **البرهان الخامس:** برهان وجود النظام: كل نظام يقتضي علة عاقلة منظمة، لأن كل نظام يقتضي حكماً ، والحكم إنما يصدر عن الحكم ونحن نجد أن الكون كله منظم لا في جزئياته بل وفيه كله ككل ، فكل ميسر لغاية وكل الأشياء تتجه نحو تحقيق غاية واحدة ومن هذين الاتجاهين ينشأ النظام العام للوجود ولكن كل نظام كما قلنا يقتضي منظماً أحدثه إذ لا يمكن أن يتصادف وتترتب الأشياء على هذا النحو المنتظم الدقيق الذي نجده في الكون، فلابد من علة منظمة إذن ومن ناحية آخرى يلاحظ أن كل علة منظمة تقتضي عقلاً ففي النهاية لابد من القول بعلة عاقلة منظمة للكون، وهي الأصل في هذا النظام والضمان الثابت لاستمراره، ... ومن الواضح أن هذه البراهين الخمسة كلها تشترك في خصائص عامة مشتركة هي :

1. كلها تبدأ من الأشياء المحسوسة التي تملأ العالم.

2. كلها تفترض السيادة لقانون العلية أو السببية سواء في الحركة التي تحتاج إلى محرك أو الوجود الممكن الذي يحتاج إلى علة توجده ....الخ

3. هي كلها تفترض أن الأشياء مرتبة ترتيباً تصاعدياً لو أتبعه الإنسان فلابد من أن يصل إلى القمة حيث يوجد المبدأ الأول للأشياء جميعاً.

**د- صفات الله :-** إذا ما انتقلنا من إثبات وجود الله إلى ماهية الله أعني إلى معرفة صفاته واجه الاكويني صعوبة هنا ضخمة وذلك كما ذكرناه سابقاً من أن كل معرفة وكل برهان فإنما يقوم على أساس معرفة الماهية وبقدر معرفتنا للماهية تكون قدرتنا على إدراك نواحي الماهية وصفاتها والعقل لا يستطيع أن يصل بمفرده من حيث هو مركب من هيولى وصوره وليس صوره صرفه- لا يستطيع هذا العقل في الواقع أن يصل إلى إدراك المعقول الصرف ... الله.فالله معقول صرف فلا يستطيع العقل الإنساني أن يصل إلى إدراك ماهيته فثمة عدم تناسب مطلق بين العقل الانساني وبين ماهية الله إذ أن قدرته على إدراك الله في صفاته محدودة ... ولهذا فإن معرفتنا بصفات الله لن نصل اليها في الواقع إلا بطريق سلبي أو شبه سلبي فتصل إليها أولاً بطريق سلبي بأن ننفي على الله كل ما لا يليق بمقام الألوهية من كمال وتبعاً لهذا سننفي عن الله الحركة والتغيير والانفعال والتركيب ونضيف بدلاً من هذا الله أنه لا متحرك ثابت وأنه فعل محض بسيط وهذه الصفات قد بينا مراراً كيف نستخلص من الله فكرة أنه محرك أول ... وقد وجدنا أرسطو قال بها كلها ... والطريق الآخر : لمعرفة صفات الله هو معرفة صفات الله عن طريق قياس النظير وذلك أن كل علة لابد من أن تترك أثراً في معلولها ولأن المعلول صادر عن العلة ، فإذا كان الله علة الموجود فلابد من أن نجد في الوجود تشابهاً بينه وبين الموجود، فالعقل الإنساني يطمح إلى وصف الله بصفات إيجابية فيلجئ إلى هذا القياس الذي يؤكد بأنه لابد أن نجد في الأشياء اثاراً لصفات الله الإيجابية وأن كان علينا مرعاه الفارق الهائل بين الفاني والباقي وبين المتناهي واللامتناهي بين العلة والمعلول ويكون في ذلك بالنظر في كمال المخلوقات ووصف الله بهذه الكمالات بشرط أن نصل بها إلى أقصى درجة فنقول أن الله خير مطلق عدل مطلق وحق لا متناه وعدل لا متناه وقدرة على كل شيء عليم بكل شيء ... الخ علينا أن نراعي دائماً أن هذه الصفات مقولة بالاشتراك أي أن لها معنى بالنسبة إلى الله غير معناها بالنسبة إلى مخلوقاته ومن بين هذه الكمالات المشتركة يتناول القديس توما ثلاثاً تعد من أكبر الكمالات هي : العلم ، القدرة ، الحياة ... فالله عالم بعلم فوق العلم وهي بحياة فوق الحياة وقادر بقدره فوق القدرة فالله عالم علماً محيطاً قادراً بقدره مطلقة ....

**هـ - الخلق :-** رأينا في البرهان الثاني لإثبات وجود الله أنه يقوم على أساس أن الله علة الوجود، فالله إذن علة المعلول هو الخلق ومعنى أنه علة العلل : أنه فعل محض وما هو فعل محض هو عقل محض والعقل المحض يحيط بكل الموجود بمعنى أن الله يتعقله لذاته ينتج الموجود، وهذا الموجود هو الخلق فهناك إذن صلة من جانب الموجود إلى الله وهي صلة الخلق، وهذا الخلق في الواقع هو مشاركة من جانب المخلوق للخالق وهنا تثار مشاكل عديدة أولاً مشكلة أولى ورئيسية فيما يتعلق بإمكان الخلق من العدم وماهية الخلق فنجد أولاً أن الخلق يجب أن يفهم على أساس أنه ليس خلق هذا الجزء أو ذاك الجزء الاخر، بل الخلق هو خلق الكل معاً وإذا خلق

الكل فمعنى هذا أن هنا إيجاداً للكل وإيجاد الكل معناه الخلق من العدم لأنه مادام كل شيء سيوجد فمعنى هذا أنه لم يكن ثمة شيء فوجد شيء وبهذا قد تحقق شروط الخلق وهي ان الخلق خلق الكل ولكنه خلقه من العدم وأن الإرادة قد اقتضت الخلق لأنها أرادت ذلك لا شيء آخر .. وهكذا نجد المشاركة بين الخلق وبين المخلوق ومعنى هذه المشاركة أن شيئاً لم يكن فوهبه الله صفه الوجود فأصبح موجوداً ومعنى هذه المشاركة أن الموجود يتلقى شيئاً لم يكن من قبل من الخالق دون أن يحدث تغير لذلك الأصل فهناك إذن في حالة الخلق حالة مشاركة من جانب المخلوق نحو الخالق دون أن يتغير الخالق وهكذا نجد أنه لا توجد صلة بين الله والأشياء وإنما توجد صلة بين الأشياء وبين الله...

**- المشكلة الثانية : - إمكان صدور الكثرة عن الواحد :-**

هي المشكلة التي أثارها الفلاسفة العرب بوجه خاص وعلى رأسهم أبن سينا وهي مشكلة إمكان صدور الكثرة عن الواحد فكان يرى بأن الله طالما هو واحد فلا يصدر عنه إلا واحد وهو العقل الأول ومنه أي العقل الأول يصدر العقل الثاني وهكذا حتى يصل لبقية الموجودات ، أما اصل المشكلة لدى الاكويني فهي طالما أن الله عقل والعقل ليتعقل الأشياء ويصورها فالعقل إذن يشتمل على صدور هذه الصور هي النماذج العليا للأشياء وتحقق الوجود العيني يتم بتعقل الله لهذه الصدور وتعقل الله هنا ليس عقلاً من جانب الله لذاته وإنما هو تعقل الله لصلة ذاته بالأشياء باعتبارها مشاركة لذاته وعن فعل التعقل هذا ينشأ ما لا نهاية له من أنواع الخلق وبهذا فسر إمكان قيام الكثرة عن الواحد...

**- المشكلة الثالثة : - مشكلة الخلق من الزمان :-**

هي مشكلة خطيرة أثارها أبن رشد وحلها على أساس أن العلة الأزلية معلولها أزلي مثلها، فالخلق أزلي كالله سواء بسواء والزمان بالتالي أزلي بأزلية موجودة، فهنا إذن قول بأزلية العالم وأزلية الزمان وعلى العكس من ذلك نجد بونافنتورا يقول : بأن الخلق في الزمان يمكن أن يبرهن عليه عقلياً ويحاول أن يبين ببراهين عقلية إمكان الخلق في الزمان وبالتالي القول بأن العالم قد بدأ وليس أزلياً ..ولكن توما يقف هنا موقفاً وسطاً فيقول أن الحجج التي تساق في جانب القول بأزلية العالم محتملة وكذلك الحجج التي تقال في جانب القول ببدء العالم محتملة كذلك أما البرهان العقلي اليقيني فمن غير الممكن في كلتا الحالتين ذلك أن كل برهان عقلي فإنما يصدر على أساس حد الماهية وحد الماهية هنا إما أن يكون حد ماهية الله أو ماهية الخلق فإننا لن نجد في ماهية السماء أو الإنسان ما يقول بضرورة الوجود في زمان أو ابتداء زمان وإنما الحدود أو التعريفات دائماً خارجة عن الزمان فلا تحدد زماناً ولا بالأزل ولا بالبدء وإذا نظرنا إلى حد الله لم

نجد ما يمنع أن يكون هناك خلق في الزمان كما لا نجد أن هناك ضرورة أو عدم ضرورة أو إمكان أو عدم إمكان بالنسبة إلى الخلق منذ الأزل ... فإذا قال لنا الوحي أن الله قد خلقه منذ الازل فعلينا أن نعتقد ذلك وأن نؤمن به إيماناً فحسب ، أما اليقين العقلي فلا يمكن أن يوجد بالنسبة إلى هذه المسألة ولهذا يلخص توما الموقف بالقول : إن بدء العالم قابل للإيمان غير قابل للبرهان ولا للعلم ...

**و- <u>المشكلة الرابعة</u> : مشكلة الشر :-**

وفيها يقول توما إن الله لا يمكن أن يفعل الشر لأن الشر شيء سلبي محض ، وهو عدم وجود ، فإذا أضفناه إلى الله فقد أضفنا إلى الله أنه يخلق العدم وهذا لا معنى له وإنما الشر يجب أن يفسر على أساس أنه ذلك الشيء الضروري الذي يفرق به المخلوق عن الخالق، فثمة فاروق بين كلاً منهما في مرتبة الوجود وإلا لكان الخالق والمخلوق شيء واحد وهذا الفارق في مرتبة الوجود هو الشر، والموجودات تترتب في الواقع ترتيباً تنازلياً بحسب درجة الشر، فنجد في القمة ما هو معقول صرفاً تقريباً ثم يليه ما هو أقل درجة في المعقولية وهكذا...نجد سلسلة تصاعدية من الموجودات والشر فيها هو هذا الانحراف الضروري اللازم في القول لصفة الخلق ازاء الخالق ، ففي قمة الوجود نجد الملائكة وهذه المخلوقات ليست مركبة من صوره وهيولى ، بل هي جواهر لا مادية ، صور إلا أن درجة البساطة والعقل والمعقولية فيها أقل بالضرورة من درجة الله لأنها على كل حال مخلوقة... ومن هذا كله نستنتج :

أن هناك فارق بين النزعة الأوغسطينية والنزعة التوماوية فالأولى تقوم على الوجدان الباطن في التجربة الصوفية هذا الوجدان الباطني هو مصدر المعرفة لدى الأوغسطيين أما توما فالمعرفة هي المعرفة الحسية .... مع إدخال مبدأ عقلي في كل براهينه وهذا واضح في براهين الاكويني على وجود الله إذ مهما بلغت درجة الحس فلن نصل إلى درجة المعقول إلا بإدخال مبادئ جديدة هي التي تيسر لنا الوصول الى المعقول لذلك وصفت فلسفته بالواقعية المسحية كون الموجود الحقيقي لديه هو الموجود التام العيني وعليه كان مذهبه أقرب إلى الواقعية التجريبية ومنه إلى المثالية التي تؤكد على الوجدان الذي وجدناه عند أوغسطين.....

- **المحاضرة العاشرة: وليم أوف كام ( 1295- 1349)**

**ت- حياته ومؤلفاته**

**ث- مذهبه**

**<u>أولاً :</u> ولادته**

ولـد أوف كـام فـي مقاطعـة surrey حـوالي سـنة 1300 ودرس فـي أكسـفورد ثـم لمـا ظهـرت أفكاره وظهر أنها مبتدعة استدعاه البابا أليه في أفيون وحكم عليه بالصمت أربع سنوات ولكنه لم يذعن للأمر بل فر في سنة 1328 إلى الملك البافاري ملك بافاريا وهناك دافع عن الإمبراطور ضد البابا وكتب رداً قاسياً على البابا الحالي والبابا الذي خلفه وكان له كثير من المعجبين به كل الإعجاب كما كان له خصوم أشداء إلى أقصى حد ، توفي سنة 1350.

**ثانياً: مؤلفاته**

شرحه على كتاب الأقوال وأوف كام خاتمة تلك الحركة التي بدأت في أكسفورد سواء من الناحية العلمية أو من الناحية الدينية اللاهوتية فإننا نجده قد استفاد من الحركة العلمية التي قام بها روبير جروستست وروجر بيكون إلى أقصى حد، ثم أستطاع عن طريق هذه النزعة أن يصل إلى إيجاد مذهب في المعرفة عميق يكاد أن يكون أكبر محاولة من أجل تحليل مضمون علمية الفكر قامت في العصور، وعلى أساس نظريته في المعرفة أقام أقواله في مسائل اللاهوت المختلفة وعنده سنجد أن ميدان البرهان العقلي في المسائل الدينية تتضاءل شيئاً فشيئاً حتى كاد ينعدم أو قد أنعدم بالفعل فأصبح كل ما يقول به العقل لا يرد به الوحي وكل ما أتى به الوحي لا يمكن للعقل أن يبرهن عليه وعنده نصل ألى أقصى درجة من درجات التميز والفصل بين العقل والنقل إذ أصبح بين هذين الميدانيين سور لا ينفذ منه أي تأثير من جانب الميدان الواحد في الميدان الآخر .

كيف هي المعرفة الصحيحة عند أوف كام : يقول : إن المعرفة الصحيحة تأتي دائماً عن طريق البينة فكل ما لا يستطيع الإنسان أن يكشف عنه بجلاء عن طريق البرهان العقلي يجب أن لا يقول به .... ويضاف إلى هذا الناحية التجريبية التي أخذها عن روجر بيكون فهو يقول : إن التجربة هي المعيار في كل معرفة بل المعرفة الحقيقية وحدها ومن هاتين النقطتين الأساسيتين يقيم أوف كام مذهبه في المعرفة أولاً ثم يحدد موقفه من الحقائق الدينية المختلفة ثانياً ...

- البحث في نظرية المعرفة عند أوف كام : نجده أولاً يقول إن البينة نوعان : بينة عيانية حسية وبينة عقلية مجردة وهذه الأخيرة خاصة بالروابط بين المفهومات وهي بالتالي لا تقول بموجودات خارجه بمعنى أن الأحكام في هذه المعرفة أحكام على مفهومات لا على موضوعات أما في حالة البينة الحسية فالأحكام أحكام على أشياء لا على روابط بين المفهومات ومن هنا فإن البينة الحسية تؤدي إلى معرفة عقلية ولما كان الوجود الحقيقي في نظر أوف كام كما سنرى بعد قليل هو وجود الجزئي والموجود العيني القائم بينما الكلي فلا وجود له في الواقع بل ولا في الذهن بطريقة حقيقية كما يزعم دنس سكوت فإن المعرفة الحقيقية ليست هي الصادرة عن البينة العقلية بل تلك الصادرة عن البينة الحسية ....

- ثم يأخذ أوف كام نفس المبدأ الذي قام عليه أرسطو مبدأه والقائل بأنه لا يجب التكثير من الأشياء دون ضرورة إنه يتخذ هذا المبدأ لكي يستخدمه سلاحاً ضد أرسطو نفسه ويجب أن نفهم هذا القول عند أوف كام على أساس الناحية الثانية من نظرية المعرفه عنده ونعني بها

الناحية التجريبية وتبعاً لهذا نقول إن كل ما لا ندل عليه بالتجربة يجب رفضه فلا داعي للتكثير من الموجودات دونما ضرورة والضرورة هنا هي الضرورة التجريبية أعني التي تقول بها التجربة الحسية ....

- ماهية المعرفة عند أوف كام من حيث الصحة والبطلان ومن حيث التعبير ....

نجد أولاً أنه مما لا شك فيه أن هناك قضايا صادقة وآخرى كاذبة فهناك إذن حقيقة ولا حقيقة فإذا نظرنا في أية قضية وجدناها مركبة من الفاظ لاني لو نطقت بقضية ما من القضايا فلن يجد السامع فيها غير أصوات مسموعة فحسب ولا تدل على موجودات خارجية إلا بطريق غير مباشر العيان الحسي هو وحده الذي يدل على موجودات خارجية مباشرة أما القضايا فلا تدل إلا بطريق مباشر على هذه الموجودات الخارجية وأياما كانت هذه الإشارة من جانب القضايا أي الموجودات الخارجية العينية فالقضية تنحل أولاً وأخراً إلى أصوات هي ألفاظ فكل قول إذن مرجعه إلى اللفظ وهذا ما يسمى باسم النزعة اللفظية المتعالية عند أوف كام .....

- الفارق الواضح بين كلاً النوعين : يظهر بوضوح على وجه التخصيص إذا تذكرنا أن الموجود الحقيقي هو الجزئي العيني القائم في الخارج بينما الكلي لا وجود له إلا في الذهن فحسب باعتبار أنه شيء جرد من الموجود الخارجي فإذا بحثت خصائص الألفاظ الدالة على الأشياء وجدنا الدالة على الأشياء هي الحقيقة لأنها تدل مباشرة على موجودات خارجية واقعية أما الدالة على أفكار فلا تدل إلا على روابط يتصورها العقل.

- الأخلاق عند وليم أوف كام :

في ميدان الأخلاق " حرية الإرادة والخير والشر :

يرى أوف كام أن حرية الإرادة هي الأساس في الإنسان وأكثر تميزاً له من الفكر ولكن كيف يمكن التوفيق بين حرية الإرادة الإنسانية وبين علم الله السابق بالممكنات المستقبلية ومن بينها أفعال الإرادة الإنسانية الحرة إمام هذه المشكلة يقر أوف كام بعجز أي عقل في هذه الحياة الدنيا عن تفسير أو معرفة كيف يعرف الله كل الأحداث الممكنة المستقبلية أما الخير فهو ما يريد الله من الإنسان أن يفعله أما الشر فهو عصيان الإنسان لمشيئة الله ولهذا كان الشر من صنع الإنسان ولما كان الله ليس ملزما تجاه أحد فهو لا يرتكب أي شر ولا إلزام على الله في أن يثيب المطيع ويعاقب العاصي فالله حر في أن يصطفي من يشاء ويحرم من يشاء من فضله..

- صفـــات الله :
- الوحدانية : مثلاً يقابلها أن الكثيرين اعتقدوا بآلهة عدة .
- اللانهائية : رأينا اللاهوتيين يقولون أنها ثابتة لله من تعريفه من حيث أسم الله يعني الموجود الذي لا يتصور أعظم منه.
- أزلية الحركة : على افتراضها يكفي لتفسيرها ملاك يحرك السماء الأولى أبداً .

- الموجود الأعلى الكامل من كل وجه وأنها كلية القدرة وأنها تعلم ما عداها من الموجودات.

- وإذا نظرنا في النفس الإنسانية لم نجد دليلاً عقلياً يثبتها ...إن المعرفة المؤكدة هي الحدسية والحدس الباطني يدرك الظواهر النفسية ولا يجاوزها والاستدلال بالظواهر على الجوهر غير جائز بل إننا إذا اقتصرنا على العقل دون الوحي لم نستطع البرهنة على أن نفساً روحية يمكن أن تكون صورة الجسم، ولقلنا أن النفس صورة ممتدة فاسدة ...فالوحي وبه فقط نعلم أن لنا نفساً روحية خالدة.

- وفي السياسة : لقد خاض أوف كام معركة النزاع بين سلطة البابا وسلطة الإمبراطور وكان يدافع عن الأخير لأنه رأى أن قانون الله هو الحرية لا القهر والاستبداد وفي رسالة بعنوان سلطة الأباطرة وسلطة البابوات يوضح هذا الرأي فيقول : إن المسيح حيث وكل أمر الكنيسة إلى بطرس حدد سلطته في نطاق محدد ولم يمنحه سلطة مطلقة على الناس ولهذا ليس من حق البابا خليفة بطرس أن يحرم أحد من أي حق من حقوقه الطبيعية ويحدد أوف كام ثلاثة من هذه الحقوق ...

- كل الحقوق التي يتمتع بها غير المسيحيين قبل مجيء المسيح وإلا فإن انتقاص هذه الحقوق من المسيحيين يجعلهم أسوء حالاً ومكانة من الكفار الوثنيين .

- التصرف في الشؤون الدنيوية ليس من شأن السلطة البابوية بل من شأن الناس أنفسهم إمتثالاً لقول المسيح : أعطوا ما لقيصر لقيصر ..

- على الرغم من أن البابا مكلف بتعليم كلمة الله فإنه ليس من حقه أن يتدخل في أي شأن لا صلة له بهذه المهمة وإلا لأحال شريعة الإنجيل إلى شريعة الاستعباد.

- يقول أوف كام : في مسألة من هو الحكم فيما يتعلق بما هو ضروري للأغراض المشروعة للكنيسة أنه لا يمكن أن يكون البابا ولا من يخضعون لسلطاته ولا الحكام الدنيويين بل يجب الاحتكام في ذلك إلى ما ورد في الإنجيل ولا بحسب تفسير رجال الدين بل بحسب ما يرتئيه العقل وأعقل العقلاء بين الناس ممن يحبون العدالة ولا يحلفون لأشخاص – إن وجد مثل هؤلاء سواء أكانوا فقراء أم أغنياء ، رعية أم حكاماً.

أنتهى المقرر بحمده تعالى

‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘‘